دورية تصدر كل شهرين

حراء

مجلة علمية ثقافية أدبية

السنة الأولى / (مارس - أبريل) ٢٠١٦
www.hiragate.com

كعبة الأرواح

الساكبون للعَبَرات والأشواق
الطوّافون بكِ في الليل والنهار
شوقٌ يحدوهم، وعشقٌ يسري بهم
من أسمى السماوات نزلتِ، وتواضعًا تنازلتِ،
وعلى الأرض انتصبتِ.. مَوئلاً للخلق غدوتِ
ومحرابًا للحق انتُدِبْتِ

* * *

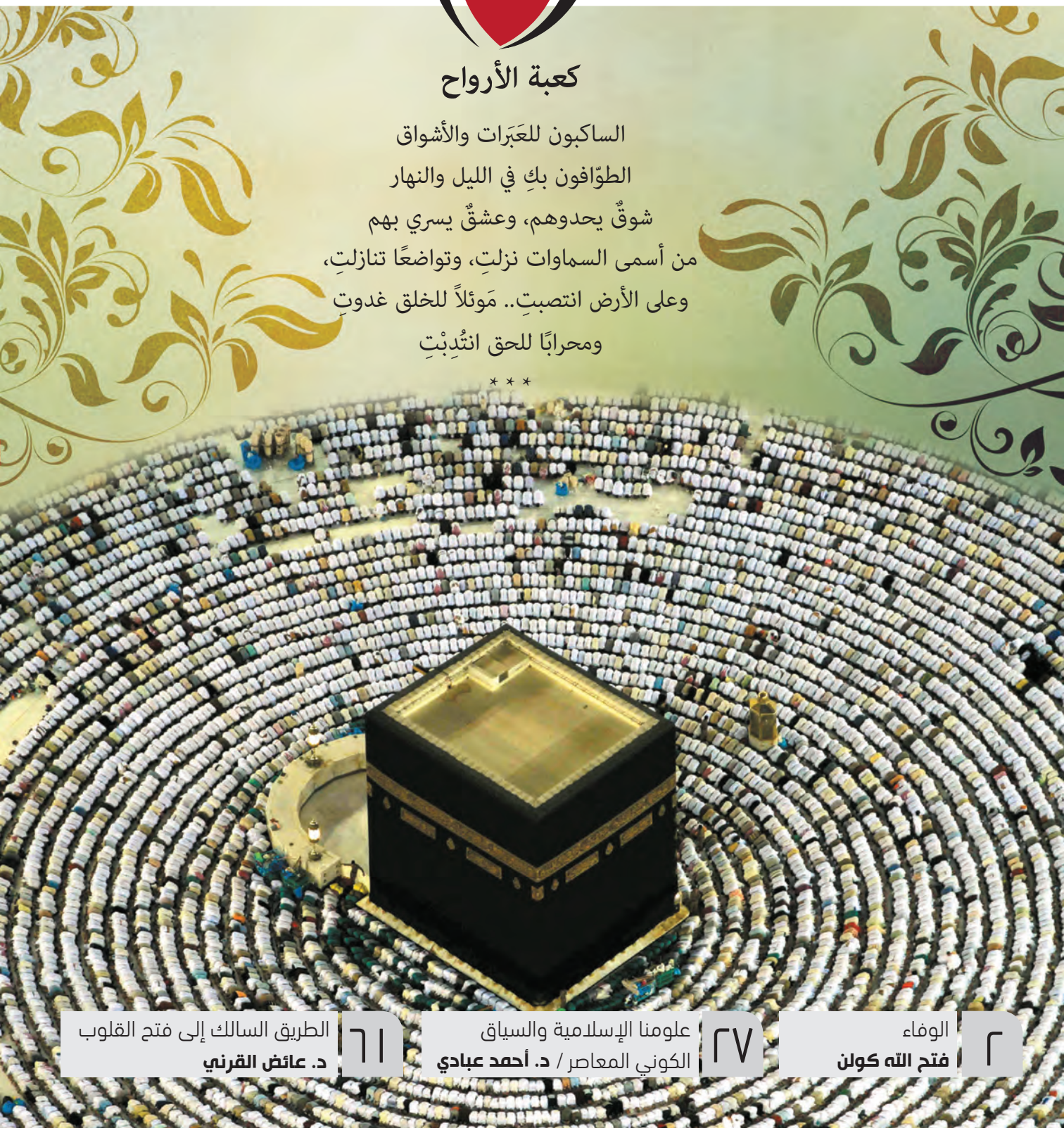

٢ الوفاء
فتح الله كولن

٢٧ علومنا الإسلامية والسياق الكوني المعاصر / **د. أحمد عبادي**

٦١ الطريق السالك إلى فتح القلوب
د. عائض القرني

فلسفة الوفاء

في مفتتح "حراء" نقرأ للأستاذ المبدع فتح الله كولن مقالاً في غاية الروعة والإبداع عن فلسفة الوفاء؛ ففي هذا المقال نظلّ تنابع سريان روح الرجل في قلمه، وسيلان قلبه في كلماته وهو يسطر أبدع ما قيل عن "الوفاء" كقيمة إنسانية شريفة تنمّ عن أعلى قمة من قمم الرجولة الحقة، والشهامة البطلة، وتدل على نقاء الضمير وصدق السريرة، وطهارة الوجدان، وصفاء النفس، والشعور العميق بمعاني الصداقة العالية، والأخوة المرجوة. فمحك الرجولة؛ الالتزام بالكلمة المعطاة، والإخلاص للعهد المقطوع والميثاق المبروم. كما أنه يدل على سموّ ذهن صاحبه، وعلو أخلاقية سلوكه.. وإذا كان "الوفاء" مصدر قوة للإنسان الوفي، ودليلَ صحة نفسية وروحية فيه، فهو كذلك مصدر قوة للمجتمع، ومنبع ثرّ لتبادل الثقة والتعارف والتصافي بين أفراد المجتمع.. وحين يموت الوفاء، ويقل الأوفياء، فذلك دليل على تفكك اجتماعي يطال الأفراد ويفقدهم أي شعور بالثقة والصدق والإخلاص فيما بينهم.

وعن خفايا أعماق البحار وما تحتويه من كنوز صيدلانية، يكتب أحمد ناصر سنه مقالاً علميًّا ممتعًا يكشف من خلاله أن هذه الأعماق، بما تزخر به من حيوان ونبات ولؤلؤ ومرجان، قد تكون أدوية لشفاء كثير من الأمراض التي يصاب بها الإنسان، كما أثبت ذلك من خلال البحث والتجريب لعلماء وأطباء مرموقين لهم مكانتهم العلمية والطبية.

أما محمد باباعمي، فيكتب مقالاً عن "وهم الاكتمال وحبُّ التملك"، وذلك من خلال المرحلة الطفولية التي لها تأثيراتها سلبًا أو إيجابًا على سلوكيات الإنسان في مراحل عقود السنين التي يمرّ بها، فيقول: "لا شيء يبلغ مرتبة الكمال، ذلك أن الخير في الدنيا لا يتمحض، وأن الشرّ لا يتمحض" إلى أن يقول: "وكيف نوجه حبّ التملك لديهم حتى لا يطغيهم القليل ولا الكثير".

أما أحمد عبادي، يكتب في قضايا فكرية مقالاً بعنوان "علومنا الإسلامية والسياق الكوني المعاصر"؛ حيث يقول: "إن النظر في موضوع علومنا الإسلامية في ظل المقتضيات المستجدة والمستحدثة التي أضحت تؤثث عالم اليوم، تفرض علينا استحضارًا تامًّا لمقتضيات تسعة باتت من خصائص العالم المعاصر"، ثم يمضي فيتحدث عن هذه المقتضيات واحدة تلو الأخرى.

وفي "الهداية المنقوصة" يكتب فؤاد البنا عن المجتمعات الإسلامية وتأخرها، مستشهدًا بالأرقام والإحصائيات، إذ يقول: "عندما ندخل إلى عالم الأرقام التي تكشف الواقع بدون تزويق، وتبرز الحقائق بدون تزييف، عندها سندرك أن مشاركة المسلمين في المضمار الحضاري هي دون حجمهم الطبيعي بكثير، حتى إن المبيعات السنوية لشركة عملاقة من الشركات المعددة الجنسيات، تساوي صادرات عشرات الدول الإسلامية".

أما الشاهد البوشيخي، فيكتب في مقال "ذكر الله.. طاقة الصبر والثبات" فيقول في جملة ما يقول عن أفكار: "لا علاج لأمة القرآن إلا بالرجوع إلى القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، ولا ينتهي خطابه وهداه" إلى أن يقول: "لا ثبات في المواجهة والذكر والطاعة إلا بالصبر".

وعن "الإنسان والجمال" يكتب محمد جكيب فيقول: "إن الإبداع الذي يعكسه الوجود بجماله الخارق وإتقانه الدقيق، ليس سوى تجلّ لصفة المبدع وصفة الجميل، التي يتجلى بها على الوجود".

أما عائض القرني، فيكتب تحت عنوان "الطريق السالك إلى فتح القلوب" فيقول: "لقد جرّب الحكماء منّا دعوتهم باللين والرفق إلى الإسلام، فدخلوا في دين الله أفواجًا، بعكس أولئك الذين يستخدمون أسلوب الخطف والسلب والإرغام، فأضروا أكثر مما نفعوا".

هذا إلى جانب مقالات قيمة أخرى تفتح أمام القارئ آفاقًا فكرية واسعة. والله من وراء القصد.

المحتويات

الوفاء / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
كنوز صيدلانية في قاع البحار / د. أحمد ناصر سنه (علوم)	٥
نقد الذات.. لماذا وكيف؟ / خلف أحمد محمود أبو زيد (قضايا فكرية)	٩
وهم الاكتمال وحبُّ التملك / د. محمد باباعمي (أدب)	١١
رفع الشعار لا يكفي / حراء (ألوان وظلال)	١٣
إستراتيجية البناء الحضاري في فكر فتح الله كولن / د. مريم آيت أحمد (قضايا فكرية)	١٤
ابن الجزار.. طبيب القيروان / حسن بن محمد (تاريخ وحضارة)	١٨
سفينة النجاة / حراء (ألوان وظلال)	٢٠
انقراض أسماك الهامور.. من المسؤول؟ / د. رضا عبد الحكيم رضوان (علوم)	٢١
القومية الإيجابية عند النورسي.. مقوماتها وضوابطها / أسامة أبو العباس شهوان (قضايا فكرية)	٢٤
علومنا الإسلامية والسياق الكوني المعاصر (١) / د. أحمد عبادي (قضايا فكرية)	٢٧
علم الصيدلة في الحضارة الإسلامية / د. حذيفة أحمد الخراط (تاريخ وحضارة)	٣١
في تجديد الخطاب الدعوي (٣) / د. عبد الحميد عشاق (قضايا فكرية)	٣٤
حقوق الطفل بين العناية والإهمال / د. عبد الله دمير (تاريخ وحضارة)	٣٨
الهداية المنقوصة.. جذر الغثائية عند المسلمين / د. فؤاد البنا (قضايا فكرية)	٤١
ذكر الله.. طاقة الصبر والثبات / أ.د. الشاهد البوشيخي (قضايا فكرية)	٤٤
حملي ثقيل ولكن.. حديث السلحفاة / أ.د. عرفان يلماز (علوم)	٤٨
النمط المعماري والثقافة.. أية علاقة؟ / د. أيمن حسن حجاب (ثقافة وفن)	٥٢
الإنسان والجمال / د. محمد جكيب (قضايا فكرية)	٥٥
نكبة الإنسانية / حراء (ألوان وظلال)	٦٠
الطريق السالك إلى فتح القلوب / د. عائض القرني (قضايا فكرية)	٦١
مناجاة طائر الحرمين / د. حسن الأمراني (شعر)	٦٣

الوفاء

الوفاء، من الأزهار التي لا تنمو إلا في مناخ المحبة والإخاء. ونادرًا ما تلقاه في جو التنافر والعداء، بل يستحيل. فهو يطوف حول السعداء المتوافقين فكرًا وإحساسًا ورؤية طوافَ النسيم العليل، يغمرهم بعطره الشذيّ، وينعشهم بنَداه الطريّ.. فإذا لفحته رياح الحقد والغيرة والكراهية، جففت أوراقه، واقتلعت جذوره.. في منابت المحبة والمروءة يولد ويسمو، وفي أرض العداوة والبغضاء ينطفئ ويخبو.

"الوفاء أن يتّحد الإنسانُ وقلبَه"، هكذا عرّفه بعضهم، وهو تعريف في محلّه وإن كان ناقصًا.

هل يمكن الحديث عن الوفاء في مَن لا يملك حياة قلبية ويتقلب في خواء روحي؟ إنّ الصدق والوفاء وثيقا الصلة بالحياة القلبية. فهل لذوي الوجوه المزدوجة المرائين أن تكون لهم حياة قلبية حقًّا؟! أولئك الذين وقعوا أسارى الكذب والخداع، والذين ينقضون عهودهم ليل نهار، والذين لا يشعرون بعبء ما يتحمّلون من مسؤوليات.. مخدوعٌ من ظنّ أن يكون لهؤلاء حياة قلبية. وهيهات أن تجد وفاء من مثل هؤلاء! بل إنّ توقّع ذلك منهم لهو الغفلة بعينها والسذاجة في أفضح صورها.

أجل، من يثق بعديم الوفاء يشقى.. ومن يصاحبه في سفر طويل، يتعثر في الطريق وينقطع عن المسير.. ومن يتخذه دليلاً أو مرشدًا، تَسيح عيناه بدموع الخيبة والخسران، وتجري على شفتيه هذه الكلمات التي تتقطر ألمًا وعتابًا إزاء ما يقاسيه من إنكار وهجران:

رجوتُ منه وفاء،
فكواني بالجفاء،
أين أذهب؟ لستُ أدري!

إن المرء بحسّ الوفاء يغدو أهلاً للثقة ويرفرف عاليًا.

والأسرة إذا أقيمت على دعامة الوفاء استمرت وظلت تنبض بالحياة. والأمة بهذه القيمة الرفيعة تتسنم ذروة الفضائل. والدولة إنما تحافظ على مكانتها في قلوب شعبها، بهذه الروح السامية. وإذا فقدت أمة قيمة الوفاء، فلا يمكن الحديث فيها عن الفرد الناضج المعطاء، ولا الأسرة العامرة بالأمن والسكينة، ولا الدولة المستقرة التي تنعم بثقة أبنائها. في مناخ كهذا، ينظر الأفراد بعين الشك والريبة إلى بعضهم، وتعاني الأسرة شقاء مضنيًا، وتُذيق الدولة أبناءها مرارات البؤس والنكبات، ويغدو كل شيء أجنبيًّا بعضه إلى البعض كالجمادات وإن تداخلت أو تراصّ بعضها فوق بعض.

الوفاء يؤلف بين الأفراد ويُدمجهم فيما بينهم متآخين متوافقين. بالوفاء تصبح الأجزاء كلاًّ متكاملاً، وتتلاحم القطع المتناثرة في وحدة متناغمة. وإذا ما بلغ الوفاء "الآباد السرمدية"؛ انهمرت أطياف النور الماورائية، وأضاءت دروب الكتل البشرية، وأزالت جميع العوائق التي تسد الطريق عليها.. بشرط أن تكون تلك المجتمعات قد نضجت بالوفاء، وأسلمت نفسها إلى أحضانه التي تجمّع وتؤلّف.

أَعلّقتَ قلبك بفكرة عالية؟ أشُغِفتَ بغاية سامية؟ أَعقدتَ بينك وبين أحد ميثاق مودة؟ إذن كن وفيًّا، وقدم في سبيل ذلك نفسك.. كن وفيًّا وإن تبددتْ في سبيل ذلك ثروتك. فلا قيمة أعز من الوفاء، ولا مكانة أعظم من الأوفياء، لدى الحق سبحانه ولدى الخلق على حد سواء.

جاءني من الحق نداء،

"أيا عاشق أقبل، فمن المحارم غدوتَ،

وهذا مقامهم،

فقد رأيناك من أهل الوفاء". (نسيمي)

آدم عليه السلام إنما فتح الأبواب التي أوصدت في وجهه واحدًا بعد آخر بمفتاح الوفاء السحري الذي حمله في قلبه، فوصل إلى منابع "الغفران"، بينما إبليس الذي عصا وبغى في الحدث عينه، فقد رمى بنفسه في جحيم الجحود.

أما نبي الطوفان عليه السلام فقد عاش لقرون يعاني، ومع

أين أنتم أيها الأخلاء الأوفياء؟ يا من ينتظرون في المكان الذي تواعدوا فيه أيامًا متعاقبة دون براح وفاء لحس الوفاء! أين أنتم يا أبطالاً من صلب أبطال؟! يا فرسان فترة مباركة! يا من ضحوا بأنفسهم إكرامًا للوفاء! انهضوا، وأفرغوا كل ما تحملونه من معاني الوفاء في قلوبنا.. قلوبنا التي فقدت الشهامة والبطولة والوفاء منذ زمن بعيد.

حراء

ذلك كان وفيًّا.. نبّه قومه وحذّرهم عاقبة ما يقترفون، كابد كل طريق فلم يجد صدى لكلماته في قلوب أكثرهم. ورغم ذلك ما تخلّى عن وفائه لـ"الباب" الذي أخلص له طوال حياته.. حتى إذا انقضّت السماوات والأرضون عليهم بالجبروت، تحوّل ذلك الوفاء الذي يحمله في قرارة نفسه إلى سفينة نجاة له ولمن آمن معه.

ثم انظر إلى خليل الرحمن وأبي الأنبياء عليه السلام عندما تصدّى لنار النمرود! كم كان وفيًّا فداه روحي! وحينما التقت أنفاس وفائه التي دوت في أرجاء السماء بهتاف "حسبي الله!" مع نسمات الرحمة التي هبت ملبية لندائه من وراء الماوراء، تحولت أحشاء النيران الجهنمية بردًا وسلامًا.

كذلك رائد القدسيين، وإمام السابقين واللاحقين ﷺ إنما نال سعادة السياحة إلى ما وراء السماوات -تلك الرحلة التي لم تكتب لأحد سواه- بفضل حس الوفاء المكنون في روحه. أجل، بفضل الوفاء بلغ عوالم لم يَسبق أن بلغها ملَك من قبل، ونال من السعادة والتكريم ما لم ينله أيّ فان في هذا الوجود. ولكنّ وفاءه لأمته جعله يغادر عالم السعداء، ذاك الذي تنبهر فيه الأبصار حائرة وتذوب فيه الأفئدة نشوى، ويعود أدراجه إلى صحبه ورفاق دربه. أجل، عاد لكي يصارع الأحداث الجسام، ويواجه العقبات التي تعترض طريقه، ويرتقي بصحبه البررة إلى تلك العوالم السماوية. وفاؤه لصحبه ورفاق دربه، جعله يُعرِض عن الجنان وحور العين.. عهدُ وفاء قطعه لهم عاد به إلى هذه الدنيا

hiragate.com

الحافلة بالمعاناة والآلام ليكون إلى جانبهم، تاركًا كافة الأعطيات الروحية والمراتب المعنوية وراءه، وذلك في لحظة بلغ فيها بهامته قمم المكارم السماوية الباهرة.

إن جميع من ارتقى من أهل السمو، طُوِيت سجلات حسناتهم بالوفاء وختمت بخاتمه. وجميع من تعثر في الطريق خُتم على سجلات أعمالهم -وهي معارض حافلة من المساوئ- بخاتم الإنكار والجحود. أجل، إن البؤساء الذين نقضوا ميثاق الوفاء لِما تعهدوا به من مهامّ ومسؤوليات قبل أن يتقدموا بها ولو خطوتين إلى الأمام، وتنحّوا بأنفسهم جانبًا، خُتم على جباههم بخاتم الذلة والهوان ونُبذوا إلى أسفل سافلين. أما الذين لم يصبروا على "الحِمل المقدس" و"الرحلة المقدسة" ربع يوم وحادوا عن المسير، فقد أضاعوا الطريق الصحيح مذ ذلك الوقت حتى اليوم، وأصبحوا ضالين تائهين.

وأخيرًا دار الزمان دورته، وعادت إلينا أمانة "المعاناة المقدسة"، فأقسمنا بأغلظ أيمان الوفاء، ووضعنا كواهلنا تحت هذه المسؤولية الثقيلة الضخمة. كنا متوقدين حماسًا وتحفزًا، متشبعين عزيمة وتصميمًا.. ولكن هيهات.. اعترض طريقَنا فجأة تنينٌ مرعب، فنقضنا كل العهود التي قطعناها على أنفسنا.. عادت الأرجاء كلها تتصحر من جديد، وذابت كافة أنواع الشهامة والبطولة ذوبان الجليد واختفت بلا أوبة، وحلت الأشواك محل الورود، وانطفأت الأقمار وأفلت الشموس، وهجمت على الأجواء غيومٌ محمّلة بالقسوة والكآبة. أقفر البستان ومات البستاني، جفت الخلايا واختفى العسل. وراح بؤساء هذا الزمان الذي أصيب بقحط في الإنسان، يتملقون أرواحًا ميتة لا تملك ذرة من حس أمانة أو وفاء، ويَنظِمون فيهم قصائد بطولة وأناشيد نصر. لم تبق روح فظة إلا صفقوا لها مهللين "يا للذكاء، يا للشهامة"!

وإزاء ضياع حس الوفاء في تلك الفترة، ضجّ أحدهم بصراخ ثوريّ مدوّ مردّدًا:

لا وفاء، ولا حرمة للعهد، والأمانةُ لفظ بلا مدلول، الكذب رائج، والخيانة سلوك سائد، والحق ضائع، القلوب بلا رحمة، والمشاعر منحطة، والآمال محبَطة، ونظرات الناس تشي باحتقار عباد الله،

العقول تندهش يا رب، ما أفظع الانقلاب الذي وقع، لم يبق دين ولا إيمان، الدين خراب والإيمان تراب. (محمد عاكف)

في هذه الفترة، احتل الساحةَ مشعوذون لا حصر لهم، دأبُهم الكذب والخداع والمبالغة. مشعوذون ينقضون عهدهم كل يوم مرة بعد أخرى، ويتراجعون عن الوعود التي قطعوها مرات ومرات نتيجة حرمانهم الأبدي من حس الوفاء. هؤلاء تلعنهم الأرض وسكانها، تلعنهم السماء وسكانها.

من أين ظهر كل هذا الحشد من فاسدي الجبلّة سيئي الأخلاق؟ أيّ خائن فتح لهم صدره ونمّاهم؟ أيّ شقي آواهم في قلبه وربّاهم؟ أيّ ألسنة مشؤومة استقبلتهم بالتحية والإكرام؟

آه أيها الوفاء، أين أنت؟ سئمنا هؤلاء الذين ينقضون مواثيقهم، ويخونون عهودهم كل يوم مرة بعد أخرى. مللنا أشباه رجالٍ كلُّ كلمة لهم مبالغة، وكلُّ سلوك لهم اصطناع.. مللنا نفوسًا منحوسة حُرِمت حس الوفاء.. أين أنتم أيها الأخلاء الأوفياء؟ يا من ينتظرون في المكان الذي تواعدوا فيه أيامًا متعاقبة دون براح وفاء لحس الوفاء! أين أنتم يا أبطالاً من صلب أبطال، يا رموز وفاء توحّدوا مع أرواحهم؟! أين أنتم يا جباهًا بيضاء ناصعة! يا فرسان فترة مباركة! يا من ضحوا بأنفسهم إكرامًا للوفاء! انهضوا، وانفذوا إلى أرواحنا.. اشحذوا آمالنا.. وأفرغوا كل ما تحملونه من معاني الوفاء في قلوبنا.. قلوبنا التي فقدت الشهامة والبطولة والوفاء منذ زمن بعيد.

أما وقد سلكنا طريق الانبعاث من جديد، فإلى معين الخَضِر[1] أوصلونا!.. هلمّوا... وأنقذوا أولئك القلة من الأوفياء الحائرين هنا وهناك... أنقذوهم من اليأس والإحباط رجاء.

ألا فلْيرعَ الله حسَّ الوفاء حيا في قلوب جيلنا الظامئ إلى الوفاء. ■

(*) نشر هذا المقال في مجلة سيزنتي التركية، العدد ٤٤ (سبتمبر/أيلول ١٩٨٢).

الهوامش

(١) معين الخضر في الأدبيات التركية تعني ماء الحياة.

hiragate.com

علوم

د. أحمد ناصر سنه*

كنوز صيدلانية في قاع البحار

في عام ١٦٧٤ تمكّن العالِم "لوين هوك" من اكتشاف نوع من الطحالب سمّاه "يوجلينا" وله الدور الكبير في اخضرار مياه البحر. وقد يحتاج هذا الطحلب (يوجلينا) لفيتامين "ب١٢" لينمو. وفي ١٩٤٨ تبيّن أنه هو الفيتامين الفعال الموجود في الكبد والذي يمنع حدوث فقر الدم. وخلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، استُخدمت "الآشنة الأيرلندية" وطحالب "الكراجين" في علاج الجنود المصابين بالتهابات الحلق والرئتين التي سببتها الغازات السامة.

عرف البشر في الحضارات الإنسانية القديمة عددًا من الفوائد العلاجية للافقاريات البحرية (الطحالب، الشعاب المرجانية، الإسفنج، الجلد شوكيات)، واستخدموها كثيرًا في الطب الشعبي. وحديثًا يزداد الاهتمام الدوائي بها أكثر من غيرها، لما لها من أهمية وتأثير كبير على كائنات ومخلوقات بحرية. كما تنتج مواد كيميائية لحمايتها من أعدائها، ومن هذه المواد يمكن استخلاص العديد من المستخلصات ذات الفائدة الصيدلانية البشرية.

ففي اليابان تم عن طريق الفم، استعمال طحلب أحمر كطارد للديدان المعوية. وقد تحتوي الطحالب البحرية الحمراء على مادة "كاراجينان" (Carrageenan) التي تلعب دورًا مهمًّا في معالجة التقرحات (كتقرحات الفم)، الأمر الذي يجعلها تضاف إلى أدوية عديدة. كما يستخلص من تلك الطحالب، مركب غروي القوام (الآجار/ الهلام) لا يستغنى عنه في أي مختبر طبي أو جرثومي؛ فهو يستعمل كمثبت للمعلقات، وكوسيط في تحضير المستحلبات، ومليّن للأمعاء، وعنصر جيلاتيني لصنع

التحاميل الدوائية، ومعاجين الأسنان، وكزيت جراحي.

أما الطحالب البُنّية، فتحتوي على مادة فعالة تسمى "فوكويدان" (Fucoidan)، وهي مادة مساعدة في تخفيف الالتهابات والتئام الجروح. ومن هذه الطحالب البُنّية العملاقة، وطحالب ذيل الحصان، تم اكتشاف حامض الألجينيك عام ١٨٨١، حيث كانت أملاحه تشبه مادة السليلوز، وما زالت تستعمل في صناعة الأغذية والأشربة. إذن تستخدم "ألجينات الصوديوم"، و"ألجينات الكالسيوم" (سوربسان) كعامل مثبت للجزئيات المعلقة بالمحاليل في الصناعات الغذائية، وفي ربط مكونات الدواء، وفي تكوين هلام صلب لتحضير قوالب الأسنان، وكضماد للجروح يتشرب الأنزفة والسوائل فتتحول لهلام، وهذا يقلل فترة التئام الجروح.

وفي منطقة البحر الكاريبي، تنتج بعض أنواع المرجان الناعم، مثل "المرجان المروحي" (Gorgonian)، هرمون "بروستاجلاندين"، ومواد ذات خواص مضادة للالتهابات. تستخلص من فصيلة "المرجان الكارمبي" مادة تعرف بـ"زيدو ستيرو سنيز" تفيد في تسكين الآلام، ومضادة للالتهاب. وعند جزر فيجي بالمحيط الهادئ وُجد "الكالوفيكوس المنشاري" (Callophycus Serratus)، وينتج "جزيئات دفاعية" لمادة فعالة ضد مرض الملاريا. ويشبه فاعليتها، مضادات الملاريا، "الكلوروكين" (Chloroquine)، لكن بنية العقار الجديد مختلفة، وهذا ما يجعل المناعة التي كونتها طفيليات الملاريا ضد الدواء التقليدي، لا تشمل الدواء الجديد.

ومنذ عام ١٩٨٢، تستعمل مستحضرات من إسفنج "إسيكلوفير" في علاج مرض الهربس، بينما يفرز إسفنج "لوفار يلافاريا بيلس" إنزيمات ومواد تعالج آلام والتهابات المفاصل ومرض الخلل العضلي. وهناك مستخلصات من الإسفنج البرتقالي، تقتل الطفيليات والديدان المعوية. ومن الطالحب والإسفنج، تستخلص -معمليًا- مادة "لنتجوزين"، ومركبات الإندول المفيدة في علاج مضاعفات الالتهابات المختلفة المنشأ. كما يستخرج من مياه البحر ومن بعض الطحالب، البوتاس، والصودا، واليود الذي يستخدم علاجًا للدراق، وهو مهم لسلامة الغدة الدرقية. وقد تمت الاستعانة بمادة "سبونجيكان" (Spongecan) لدراسة تفاعلات المركبات المضادة للالتهاب، فضلاً عن بروتين السبونجين (Spongen) المكون لهيكل الإسفنج، وهو ذو أهمية طبية في علاج أمراض العظام والمفاصل والأسنان.

هذا ويمكن للنباتات المائية المعدلة وراثيًا، أن تكون مصدرًا لصناعة أدوية عالية الفعالية ورخيصة الثمن تعين الطب في التغلب على الكثير من المشاكل الصحية. علمًا بأن الطحالب والأشنات البحرية، يمكن أن تكون مصدرًا رخيصًا للبروتين الإنساني أيضًا.

كنوز صيدلانية

يستخدم المحار لعلاج حموضة المعدة والحساسية والجروح، وذلك بعد طحن الصدفة وتحويلها إلى مسحوق يتم تناوله أو يوضع على العضو المصاب، وهو يستخدم في دول جنوب شرقي آسيا مثل فيتنام. وهناك مسحوق اللؤلؤ الذي يستخدم في الطب الشعبي، ويستخدم في اليابان لعلاج أمراض العيون. ولحلزونات الأصداف أشكال مختلفة، أما أصدافها فذات أهمية لاحتوائها على الكالسيوم؛ فبعد طحنها على هيئة مسحوق، تستخدم في علاج نقص الكالسيوم. وهناك بعض الحلزونات لها فوائد في تحليل آلية نقل الإشارات العصبية في الحيوان والإنسان وإصلاح قواعد المادة الوراثية (RNA) للمصابين بالأمراض الوراثية. ومن صيادلة الأعصاب ينتج الحلزوني المخروطي (Corus Magnus) (يعيش بين المحيطين الهادي والهندي)، أنواعًا عديدة من ببتيدات السموم القاتلة للأسماك وليس

hiragate.com

للإنسان، ويجري العمل لاستخدامها في إنتاج أدوية للآلام العصبية الشديدة وغيرها من الآلام المزمنة.

وتفيد القشريات في تحضير عقاقير للتحكم في نسبة كولسترول الدم، إذ استخلصت من الطبقة الخارجية لبعض القشريات سكاكر متعددة مثل مركبات شيتين (Chitin)، وشيتوسان (Chitosan). وهي تدخل في تركيب كثير من المستحضرات كالكريمات، وتصنيع الخيوط الجراحية، والمواد اللاصقة التي تستعمل في علاج الحروق والالتهابات الجلدية الناجمة عن الشمس، وفي تصنيع عجينة طبية لأخذ مقاسات الأسنان، وتحمي اللثة من الالتهابات ومضاعفات خلع الأسنان. كما استفاد الباحثون من إحدى القشريات (Daphina) في دراسة التداخل المرضي للطفيليات في جسم الإنسان، إضافة إلى بحث قدراتها العلاجية في إصلاح قواعد المادة الوراثية في الحيوانات والإنسان. وتستخلص من سرطان حدوة الحصان مادة كيميائية تحارب التلوث البكتيري، كما يُستفاد منه في دراسة العصب البصري للإنسان.

ولوحظ أن أنواعًا من طيور البطريق بالقطب الجنوبي، لا تصاب بمشكلات بالحلق، كونها تأكل نوعًا من "الجمبري"، الذي يتغذى بدوره على طحالب غنية بحامض يعمل كمضاد حيوي يقيها من التهابات الحلق. كما أنه عندما تتناول "برغوث الماء المجهري"، ينتج في قناتها الهضمية موادّ مناعية حيوية تعمل على مكافحة الجراثيم العنقودية.

ويُسهم قنديل البحر، في دراسة تعبير المورثات لدى الحيوانات الثديية، واستُخلص منه مادة كيميائية تساعد في تعقب مسببات السرطان عند الإنسان. ويدخل الأخطبوط، ومنها نوع "يوكاتان" (Ocatan Octo-pus)، والحبار، في أبحاث فسيولوجيا الأعصاب وحاسة الإبصار نظرًا لكبر حجم الخلايا العصبية لديها. ولنجم البحر فوائد طبية يستفاد منها في علاج متلازمة الإدمان على الكحول ومرض الربو، كما يستفاد من قطع نجم البحر في عمليات زراعة الأعضاء والمفاصل. ويستفاد من حصان البحر في علاج كسور العظام، وأمراض القلب، وحالات إدمان الكحول، وأمراض الغدة الدرقية.

وقد استخدم الطب الشعبي الصيني، أحد أنواع أحصنة البحر (Syngnthus Acus) في علاج الإرهاق وتحسين مناعة الجسم، نظرًا لما يحتويه من أحماض دهنية غير مشبعة وبروتينات عالية.

ويوجد العديد من الأحياء المائية التي تشبه "خيار البحر". ولوحظ أن مستخلصات بعضها (مركبات السبوتين)، تعمل على تأخير نمو الخلايا البشرية (مضادة للتورمات)، ولها تأثير عضلي عصبي. ولقد تم تجريب هذه الطريقة على الفئران، مما أظهرت نتائج جيدة. وقد يستعمل خيار البحر، في علاج الكثير من الأمراض الداخلية والباطنية، مثل قرحة المعدة، والأثنى عشر، والبواسير النازفة، وتقرحات الأمعاء.. وإن مستحضراته تعتبر من مضادات الالتهابات، نظرًا لوجود بعض المواد النافعة التي تضاد عمل "البروستجلاندينات". ويحتوي خيار البحر أيضًا على مادة "الكولاجين" اللازمة لتكوين النسيج الضام في الجسم، وكذلك على كثير من الأحماض الأمينية الأساسية، وكذلك على مركب الأوميجا٣، والأحماض الدهنية الأساسية الأخرى، مثل EPA وDHA، وكذلك فيتامين "E"، وبعض العناصر المعدنية الهامة. وطبيًّا تستخدم منتجات خيار البحر في المساعدة على سرعة التئام الجروح بعد العمليات الجراحية، وللتخلص من الندوب والتجاعيد الجلدية، كما أنه مفيد لحالات حَب الشباب والبثور الجلدية المختلفة.

وبسبب تثبت بلح البحر الرخو بالصخور وقعر السفن وغيرها، تمكّن الباحثون من فصل مركب بروتيني عديد الفينول، يستعمل كغراء طبي طبيعي. كما أشير

hiragate.com

لفائدة مستخلص بلح البحر الأخضر في علاج التهاب المفاصل. ويُحسن زيت السلاحف البحرية من صحة الرئتين والدورة الدموية لدى الحيوانات الثديية، إلا أنه لم يتم اختباره على الإنسان. ويُستخلص من التماسيح مواد ذات قدرة مناعية هامة تحتوي على أوميغا٣، وأوميغا٦، وأوميغا٩، وأحماض دهنية، وفوائدها معروفة لصحة جلد الإنسان؛ حيث يساعد في التئام الالتهابات والجروح والحروق الناتجة عن ضربات الشمس والأكزيما.

في عام ١٩٠١، استخدم الفسيولوجي الفرنسي "شارل ريشيه" (١٨٥٠-١٩٣٥) السمك الهلامي القارص والذي يسبب تحسّسًا بعضّته لمن يقترب منه، في وضع أسس علم "الحساسية والتحسس المفرط"، ونال عن جهوده تلك جائزة نوبل ١٩١٣. وتشير البحوث الحديثة إلى دلائل لمعالجة الاضطرابات الناشئة عن التحسس. وعندما تغضب "السمكة المنتفخة"، تنتفخ ويتضاعف حجمها، وتطلق مادة كيميائية مخدرة تعمل على تسكين الألم وإزالته. وتم استخلاص مادة "تترو دو توكسين" من معي السمكة المنتفخة السامة ذات المفعول في تسكين الآلام وبخاصة ألم العضلات. كما اكتشف في هذه السمكة مادة تساعد على تخفيف سرعة دقات القلب. وقد توجد أصناف من "الرعاة ذي الحمة" تفرز سمًّا له تأثير مُخفف من سرعة نبضات القلب. وينتج "سمك الضفدع" مادة تعمل على حرق السكر في الجسم، مما قد يسهم في علاج مرضى السكري.

ويستخرج من سمك السلمون هرمون "كالسيتونين/ ثيروكالسيتونين"، كما تقوم الغدة الدرقية في جسم الإنسان السليم بإنتاجه ليكون مسؤولاً عن الأيض الغذائي لعنصر الكالسيوم، وله فائدة في تخفيض مستوى الكالسيوم في الدم عن طريق تثبيط عملية سحبه من العظام؛ أي إن نشاطه الحيوي يضاد هرمون الغدة الجاردرقية. وتصل فعالية "كالسيتونين" أسماك السالمون إلى أكثر من عشرين ضعف مثيله في الإنسان.

ومن السموم الناقعات دواء

سموم عدد من ثعابين البحر، والسمك النهاش الأحمر، والباركودا، وسمك ذئب البحر، وسمك "فوجو"، وسمك "الماعز"؛ قوية ومتنوعة التأثير الصحي والعصبي، ويمكن معالجتها لتكون ترياقات وعقاقير مختلفة الفائدة الدوائية.. ومنها ما يعمل على استمرارية سيولة الدم عند تخثره، أو يساعد على تخثره وإيقاف النزيف عقب الإصابة أو الجراحة، ويشبه "الأنقليس الكهربائي" ثعبان البحر في شكله المتطاول، وقد يستفاد من التجارب على أنسجته، فهم كيفية تخليق مادة "PAM" المستعملة كترياق لمعالجة الإصابات بغازات الأعصاب السامة.

زيت كبد الحوت

منذ القدم، كان يستفيد البشر من الخصائص الطبيعية لزيت كبد الحوت الطازج، وأكباد أسماك أخرى (كالهلبوت)، وحديثًا تم تكثيف استعماله لأغراض صحية وعلاجية؛ حيث تم تعبئته داخل مَحافظ جيلاتينية كمصدر غني بالفيتامينين "أ" و"د"، وبالتالي إنه يوصف للوقاية لعلاج الكساح، ولين العظام عند الأطفال، لأن فيتامين "د" يساعد على ترسيب الكالسيوم في العظام والأسنان، كما أن فيتامين "أ" عنصر هام للنمو وبناء عضلات الجسم. وفي علاج دوالي الساق يستعمل محلول مركب "مورهايت الصوديوم" (٥٪)، وهو عبارة عن أملاح الصوديوم للأحماض الدهنية في زيت كبد الحوت.

إذن، صبغات، وأملاح، وعناصر، وفيتامينات، وهرمونات، ومستحضرات، ومستخلصات، وترياقات، وعقاقير صيدلانية بحرية، يتنامى اكتشافها واستثمارها في الصناعات الغذائية والدوائية. وفي ذلك تتسابق الدول فترسل سفنها تمخر عباب البحار والمحيطات لهثًا وراء تلكم الكنوز، وذلك الفضل من الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(النحل:١٤). ■

(*) كاتب وأكاديمي مصري.

hiragate.com

خلف أحمد محمود أبو زيد*

نقد الذات.. لماذا وكيف؟

إننا لو نظرنا إلى منهج الإسلام في بناء شخصية المسلم، نجد أنه قد أرسى قواعد البناء السليم للشخصية المسلمة، لتصبح لبنة قوية في صرح المجتمع. ولكي تكون كذلك، جعل من أهم أسس بنيانها أن ينظر المرء إلى ذاته نظرة ناقدة فاحصة لما يصدر عنه من أفعال وتصرفات اتجاه الآخرين. هذا النقد الذاتي الذي يجعل الإنسان ينعم بالطمأنينة والسعادة، فلا توجس نفسه شياطين الأنس والجن، ولا تقلقه أشباح الأفكار المنحرفة والخواطر المريضة التي لا تأتي على شيء إلا جعلته كالرميم.

فإن الإنسان لو تُرك وطبيعته، فإنه يندفع في تيارها الجارف دون أن يلزم نفسه بتوجيه معين، ويسير حتمًا إلى غير غاية متخبطًا في ظلمات أهوائه، سابحًا في بحور أنانيته التي لا حدود لها، والتي لم يجن من ورائها إلا بغض الناس وانفضاضهم من حوله. ولقد صدع القرآن الكريم -محذّرًا ومنبهًا ومعيبًا- على هؤلاء الذين يخدعون الناس بهذه الظواهر والمظاهر التي ما هي إلا ستار يخفون تحته تصرفات معيبة وأفعالاً شائنة، فما قيمة المظهر الحلو إذا ما أخفى صاحبه تحته مخبرًا مرًّا: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(البقرة:٤٤).

ومنهج ثقافة نقد الذات في الإسلام، وضعه الخالق ﷻ بهدف إيجاد قلوب سليمة ونفوس مستقيمة تهتدي إلى الطريق السوي. ومن أجل الوصول بالنفس إلى هذه الغاية السامية، وضع المولى ﷻ عددًا من الضوابط للنفس، إن سارت على نهجها وصلت إلى أعلى درجات الكمال، وهي أن تربي نفسها بنفسها.. وهذه

الضوابط هي:

١- طلب الخالق ﷻ من عباده أن ينظفوا سرائرهم من كل غش وزيغ، وأن يحفظوا بواطنهم من كل كدر، وأن يتحصنوا من كيد الشيطان بمضاعفة اليقظة وإخلاص العمل وصدق التوجه إلى الله جل شأنه. وأنزل الخالق ﷻ سورة كاملة في هذا السبيل، تدعو إلى نقاء السريرة والوقاية من الهواجس الوضيعة والخواطر المظلمة، وتحفظ على المرء إشراق روحه ونقاء جوهره، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ ۞ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾(الناس:١-٦). هذه الاستعاذة تصوّرٌ لجأ فيه المؤمن إلى الله يحتمي بقوته ويستجير بعزته؛ أن يبقي عليه جمال نفسه نقية طاهرة غير مشوبة بوسوسة شيطان، ولا معيبة بنية غدر أو شر لأحد من الناس.

٢- أن يُقدِم الإنسان بنفسه على تعديل سلوكه ونفي ما ليس من طبيعته، حتى يقوّم ما اعوج داخل نفسه من أفعال لا يرضى عنها، ولا يملك الخلاص منها إلا بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى. فقد جعل الخالق ﷻ باب التوبة مفتوحًا أمام الظالمين لأنفسهم المقرّين بسوء أفعالهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(النساء:١١٠).

٣- بناء الشخصية النقية التي سمت فوق أمراض النفس من ضغائن وأحقاد وغيظ، وغير ذلك من أمراض النفس التي تشوه جمالها وتخرجها من معدنها الأصيل، فهي شخصية لا يوجد في قلبها سوى الحب والمودة لجميع المسلمين. فمن دعاء المسلمين في القرآن الكريم ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(الحشر:١٠).

٤- تعوّد محاسبة النفس باستمرار بتهمها بالتقصير ولا يرخى لها العنان، قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾(يوسف:٥٣)، وعن شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "الكيّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني" (رواه المنذري). وقد وعى المسلمون الأوائل ورجال التربية في الإسلام ذلك جيدًا، فكان لهم باع طويل في إرساء دعائم ثقافة نقد الذات، ومجاهدة النفس حتى تتخلص من غرائز السوء التي تثقل كاهل صاحبها بالسوء، وتدفع به في النهاية إلى الحضيض. فمن أقوال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتهيئوا للعرض الأكبر.. وتلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾(الحاقة:١٨). ومن أقوال الحسن بن علي رضي الله عنهما: المؤمن قوام على نفسه يحاسبها.

كما نرى أن هناك من وضع ضوابط في نظر المسلم إلى ذاته، وما قدمت نفسه من خير أو شر، فيرى ابن المقفع أن يسجل الإنسان ما يصدر عنه من أفعال خلال يومه جاعلاً الصفحة اليمنى للحسنات واليسرى للسيئات. كما دعا العلامة ابن القيم أن ينظر المرء في نفسه نظرة عميقة مدققة عما صدر منه من أفعال قد لا يعيرها اهتمامًا وربما عصفت هذه الأفعال بصاحبها إلى طريق الهاوية، فيقول: على المرء أن يسير بفكره في عواقب الهوى، فيتأمل كم أفاتت عليه معصيته من فضيلة، وكم أوقعته في رذيلة، وكم أكلة منعت أكلات، وكم من لذة فوّتت لذات، وكم من شهوة كسرت جاهًا ونكست رأسًا، وقبحت ذكرًا وأورثت ذمًّا، وألزمت عارًا لا يغسله الماء، غير أن عين الهوى عمياء.

إذن، ثقافة نقد الذات في الإسلام، تهدف إلى ترويض النفس، والأخذ بيدها إلى طريق الكمال والخير الذي يصقل معدنها، ويذهب كدرها، ويرفع ويعلي من شأنها، ويعصمها من مزالق الشر، وينقذها من ظواهر السوء، لتُبعث للحياة من جديد وهي نقية من أسر الهوى، ومن براثن الشيطان عندما يغريها بمواقعة المعصية، حتى ينظر كل إنسان منّا قبل أن يوجهه سياط نقده وسلطان وعظه للغير، أن يتمهل ويترفق لينظر أولاً في معاملاته لذاته ولغيره ليقوّم أيّ اعوجاج فيها، فإذا أخذ كل فرد منّا بهذا المنهاج، استقامت حياة الأمة كلها. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

hiragate.com

د. محمد باباعمي*

وهم الاكتمال وحبُّ التملك

كلما تأملتُ ظاهرة لها علاقة بالنفس البشرية -بل بنفسيتي أنا كما أدركِها وكما أحاورها- أجد أن الجواب الصحيح يمكن أن يُستعار من عالَم الطفولة البريء الشفاف، ثم يطبق على عالم الكبار المعقَّد والصعبِ المِراس.

يلحُّ الطفل "فراس" على والديه لشراء لعبة جميلة بديعة، قد تكون باهظة الثمن، مستعصية على مقدَّرات الأب المحدودة؛ فيركِّز الطفل على اللعبة في طلباتِه الملحة "التي لا تنتهي"، حتى تتحوَّل إلى حقٍّ مشروع، ولقد يُلحق ذلك ببعض التصرُّف المحمود، مِن مثل الاجتهاد في الدراسة، والإقلال من الأخطاء تجاه أخيه وأخته.. إلى أن يلين قلب الوالدين للحلم الكبير -والأم غالبًا هي مركز القرار- فيجمِعوا أمرهم، ويحرِموا أنفسهم من بعض الحاجات، ثم يبشِّروا الطفل باليوم الموعود لاقتناء ما حلُم به طويلاً.

تتسارع دقات قلب الطفل، فيختال في سعادة نشوان ولهان، كأنَّ العالم صار تحت ناظريه أو لكأنه أسعد إنسان في الوجود.. وقد يخلط الحلم بالمنام، فتواتيه أضغاث الأحلام جميعها تحوم حول اللعبة وحول تفاصيلها؛ لونها، من يشاركه اللعب بها، أين يضعها، كيف يباهي بها عند أصدقائه في القسم، بخاصَّة صديقه "سعيد" الذي دائمًا ما تفوَّق عليه في الممتلكات وفي المتع التي تواتيه من والديه الأثرياء.

ها قد اشترت العائلة اللعبة من المتجر الكبير في المدينة (المول)، وها هي قد تحوَّلت إلى حقيقة ماثلة حيَّة لا غبار عليها في قرارة الصبي، وها قد حقق بها المبتغى وتمتَّع بلعبته بلا حدود ولا قيود، وها قد علم جميعُ مَن حوله من أطفال العمومة، ومن أصدقاء الدراسة، ومن الصحبة في الشارع.. علموا جميعًا بأمر اللعبة.

ثم تمرُّ الأيام وتبرد "دفقة التملُّك"[1] من قلب الولهان مثل "دفقة الماء" ترشح مرَّة واحدة، قد تكون قوية، ثم تغور وتجف. وتمرُّ الأيام فتلتحق لعبة "فراس" الجديدة بلعبه القديمة التي جميعها عرفت نفسَ المصير، وسجَّلت نفس الاهتمام، ثم نفس اللاهتمام.. فلم يعد لها أدنى أثر على مشاعر الطفل، ولا أقلَّ إحساس بالأهمية، ذلك أنَّ لعبةً جديدة نزلت السوق، ورآها عند أحد أبناء جيرانه، لا شك أنها أجمل وأغلى وأفضل من لعبته هو، التي لم تعد وسائل الإشهار تظهرها وتزينها كما كانت.

ثم يكبر "فراس" وتكبر معه رغبة الملكية، وتتغير عنده أساليب التملك، قد تصير أقلَّ حدَّة ولكنها لن تكون أخفَّ محورية في نقطة ارتكاز مشاعره وعواطفه، ولقد يربط الملكية بالقيمة، وقد يرغب فيما عند المشاهير من اللاعبين والممثلين من ملبس ومركب.. وهو في كل الظروف يعتمد على والديه في تحقيق المراد، ويعوِّل

ينسى الإنسان حين يبلغ مرحلة من مراحل حلُمه أن "يشكر الله" على المرحلة.. فـ"الشكر على المرحلة" من أعظم أنواع الشكر؛ ذلك أنه يشفيك من الذهنية الصبيانية التي تشترط الكلَّ أو لا شيء.. فأنت كلما شكرتَ الله على مرحلة، زادك ما به تنتقل لمرحلة أعلى منها.

على حبهما له لشراء الغالي والنفيس.. ذلك أنَّ والده في عينه "على كل شيء قدير"، وإذا كانت أمه صاحبة أجرة، فهي كذلك "قادرة على كل شيء".

ثم تمرُّ السنون، وآخِرُ حلم يشرك فيه "فراس" والديه هو الزواج، فيعتقد أنه سيقترن بعروس كاملة تفوق العالمين في الجمال.. هدية العمر وريحانة الوجدان، لا عيبَ فيها سوى أنه لا يصبر عليها ولا يقوى العيش من دونها.. وستلد له أحسن الأطفال وأذكاهم بلا منازع، وتمنحه السعادة معتّقة مثل صهباء ترخُص دونها المهج.

ثم تدول الدولة إليه، ويكبر معه الحلم، فيخطط لوظيفة، وسيارة، ودار، وأسفار، ومتاع.. وهو في جميع ذلك يستدرج إلى "وهم الاكتمال" ويقول: "لو أنَّ لي بيتًا لكنت أسعد الناس". ثم يقدِّر الله له شراء أرض فلا يرى فيها إلا أنها "نقصٌ" يحتاج إلى "مالٍ" ليتحقق "الاكتمال".. ثم يسعى لبنائها، ومع الوقت ينتهي منها ويسكنها.. لكنها ما إن صارت تحت ملكيته حتى ارتوى وأتخمه "الإشباع" الذي كان يحلم به أول مرَّة؛ فهو الآن يفكر في غيرها أو فيها، ليحسِّنها من جديد.

وهكذا مع كل مقتنياته وممتلكاته ووظائفه.. لا يلبث أن يحلم، ثم يحقق حلمه، ثم يبرد، ويبقى أجمل شيء في قلبه هو الذي لم يستطع أن يكتسبه.. فهو محلُّ حسرة من جهة، وهو معقِد الأمل من جهة أخرى.. ويقال: "إنَّ أغلى بضاعة هي التي تصطف على أرفف الدكاكين، وأرخصها هي التي تصير رهن ملكك".

هل سيجد الإنسان مطلق المتعة في شيء من أشياء حياته، أو في مناسبة من مناسبة عيشه؟

لا بد أن تكون أشياء الدنيا ناقصة من جهات، حتى وإن اكتملت من جهة أو أكثر؛ فقد تكون غنيًّا وتقتني ألذّ الطعام، لكنَّ مرضًا ينغص عليك الاستمتاع المطلق بتلك النعم.. وقد عاينتُ أنا -حين كنتُ طالبًا- رجلاً فاحش الغنى، استضافنا وجلس يتفرج فينا.. نحن الذين -يومها- لم نكن نملك ما به نسدُّ رمقنا، ولا نقدر أن نشتري ضروريات الطعام إلا بعد جهد.. جلس وهو يتفرج، فلما سألناه: "لم لا تشاركنا المائدة؟" فقال: "للأسف، المرض يمنعني، ومتعتي الآن أن أجد من يتمتع بما عندي".

لا شيء يبلغ مرتبة الكمال؛ ذلك أن الخير في الدنيا لا يتمحَّض، وأن الشر لا يتمحَّض.. وقد يصدق ذلك حتى على السياسات، والمشاريع، والحركات، والثورات.. حلمٌ، ثم تحقُّق، ثم اكتشاف للنقص، ثم برودة، ثم موت أو وهنٌ.. وحين تشيخ الأفكار، لا يملك الناس -ولو كان بعضهم لبعض سندًا- أن يرتفعوا بها سامقًا، أو يبلغوا بها الدرجات عاليًا.

ولقد ينسى الإنسان حين يبلغ مرحلة من مراحل حلُمه أن "يشكر الله" على المرحلة.. فـ"الشكر على المرحلة"[٢] من أعظم أنواع الشكر؛ ذلك أنه يشفيك من الذهنية الصبيانية التي تشترط الكلَّ أو لا شيء.. فأنت كلما شكرتَ الله على مرحلة، زادك ما به تنتقل لمرحلة أعلى منها ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٣]، حتى إذا بلغتَ بالحلم إلى ما شاء الله، لم يكن ذات الشيء هو المهم، لكن الشكر المصاحب له هو المهم[٤].

يقول ابن خلدون في مقدمته: "أول الفكر آخرُ العمل"، فأنت حين تفكِّر في بلوغ منصب، تكون هذه الفكرة "أوَّل فكرك، ولكنها آخر عملك"؛ فتبدأ بترتيب الأسباب من الأدنى إلى الأعلى سببًا سببًا -مثل درجات السلَّم- إلى أن تبلغ الدرجة الأرفع وهي المنصب المرجوّ، ولكنها هي آخر العمل.

لو أنك قبل كل مرحلة سألت الله، وعند كل مرحلة استعنت بالله، وبعد كل مرحلة شكرت الله، وإذا أصابك مكروه أثناء كل مرحلة صبرت لوجه الله.. ولو أنك ابتغيت من كل مرحلة وجه الله، وطلبت معية الله، وآتيت ما آتيت بالله، ولله، وفي الله، ومن الله، وعلى الله.. لا

hiragate.com

تغادر الغايةُ قلبك وعقلك وحواسك طرفة عين.. لو أنك فعلت، لكنت "عبدًا شكورًا"، ولكنت من القلّة القليلة -ضمن زمرة آل داوود- التي قال عنها ربُّ الجلال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(سبأ:١٣)؛ ومؤدى الآية الكريمة، أن اعملوا لا لتقوتوا أنفسكم فقط أو لتحققوا رغبات مادية؛ لكن اعملوا شكرًا لله على نعمه، واعملوا لكي تزدادوا منه قربًا، ولكي يكثر الشكر وينمو فيكم فتبلغوا مقام الشاكرين.

مرَّ سيدنا عمر ﷺ برجل في الطريق، فسمعه يقول: "اللهم اجعلني من القليل". فتعجب عمر من دعوة الرجل، فسأله، فقال الرجل: "سمعت الله يقول "وقليل من عبادي الشكور"، وأنا أرجو أن أكون منهم". فقال عمر متحيرًا: "كلُّ الناس أعلم منك يا عمر".

كيف نخفف وَهْم الاكتمال من نفوسنا، ومن نفوس أبنائنا وشبابنا؟

وكيف نوجه حبَّ التملك لديهم حتى لا يطغيهم القليل ولا الكثير، ذلك أنَّا سمعنا ربنا يقول: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾(العلق:٦-٧)؟

وكيف نبلغ مقام الشكر، ونكون من القلة، ولا نغفل عن "شكر المرحلة" لبلوغ الشكر التام الكامل المرجو عن الله تعالى؟

هي أسئلة ثلاثة لا تنتظر الجواب، وإنما تستوجب العمل. فاللهم إنّا نشكرك على الفكرة ونسأل المزيد.. يا ربَّ الشاكرين، وربَّ المحبين المتقين.. آمين. ■

(*) مدير معهد المناهج، الجزائر العاصمة / الجزائر.

الهوامش

(١) دفقة التملك: مصطلح صاغه المقال للدلالة على القوة والسرعة التي يعقبها الزوال.

(٢) شكر المرحلة: مفهوم قد يلحق بمقال "رجل المرحلة"، ويحتاج إلى كثير من التحليل والتطوير؛ لأنه يملك قدرة تفسيرية عالية.

(٣) عطاء، فشكر، فزيادة عطاء، فشكرٌ.. هكذا في حركة ولودة ضمن دائرة صالحة، حيث الخير يولد خيرًا، والشكر يولد نعمة.

(٤) لاحظ أن الشكر مقدمة للنعمة الأخروية الخالدة، وهو مربوط بالنعمة الدنيوية الزائلة، ولذا كان الشكر أهمّ من ذات النعمة المشكور عليها. ومن ذا يساوي الباقي بالفاني؟

رفع الشعار لا يكفي

الطبيعةَ عشقوا،
وبالكون هاموا،
ورَبَّهُما لم يعرفوا..
فعلى أعقابهم نكصوا،
والبيئةَ دمّروا،
والتوازن أفسدوا..
وبِبَحْر فسادهم،
غرقوا واختنقوا.

* * *

د. مريم آيت أحمد*

إستراتيجية البناء الحضاري
في فكر فتح الله كولن

في إطار التعريف بفكر الأستاذ محمد فتح الله كولن، نجد أن هذا المفكر المجدد النهضوي، يبحث حقيقة عن كشف جوانب التفرد والخصوصية في مناهج التنقيب عن آليات حفر التكلس الحضاري لأمتنا، محاولاً إيجاد أدوات بحث كفيلة بتذويب وتفكيك عقد داء الانفصام الحضاري، وتبيان أن كيان الأمة فيه من القوة والمناعة ما يؤهله لخوض منافسات حضارية عالمية إنْ هو امتثل لمراجعة أطباء الفكر وصنّاع مجد النهضة، والتزم بتوجيهات وَصْفاتهم المعرفية لإعادة بناء الذات واكتساب قوة المناعة ضد معيقات الفعل الحضاري عامة.

إن خطة الأستاذ "فتح الله كولن"، وإستراتيجيته في البناء الحضاري، وأسلوبه في الإصلاح والتجديد، يعكس فكره وفلسفته في الحضارة وفي التاريخ، والحاضر، والرؤية المستقبلية. وهي خطة تعتمد على منهج الفعل أكثر من منهج التنظير والقول، حيث استطاع -ببعد فكره الثاقب- أن ينقل الإنسان من مرحلة التعبير عن وضع عالم التخلف والانحطاط والبكاء على مظلومية من سبب تخلف أوضاعه وقهر تطلعاته وآماله، إلى مرحلة الإنجاز والفاعلية وتقوية الإرادة بتزكية النفس والروح، وتسخيرهما معًا نحو الفعل والعطاء والإيثار وهي الوسائل والسبل الكفيلة بالانتقال من عالم التخلف إلى عالم التجديد والتحضر، من عالم الوقوف عند نقطة البدء إلى عالم الانطلاق نحو الأفق الحضاري، من عقلية الاتكال والانهزام والمؤامرة إلى عقلية الإرادة والتفاؤل والإنجاز والمحاسبة.. وهي إستراتيجية -حقًّا- تستحق العناية والاهتمام البالغ في الفكر النهضوي المعاصر للعالم الإسلامي، وجديرة بالدراسة والبحث والاستثمار.

إن الإشكالية التي يعالجها المفكر فتح الله كولن في كتاب "ونحن نبني حضارتنا"، تؤسس لآليات إستراتيجية البناء الحضاري، وتدور حول البحث عما تتميز به هذه الإستراتيجية عن غيرها من المحاولات الفكرية، والمبادرات الفلسفية التي سبقتها أو تلك التي عاصرتها.

ومحاولة الأستاذ فتح الله، أفرزتها ظروف تاريخية، دينية وفكرية وسياسية واجتماعية، عرفها العالم العربي الإسلامي الحديث والمعاصر، وشاهدتها المحاولات الإصلاحية الأخرى، لكنها لم تكن في مستوى محاولة المفكر فتح الله كولن؛ إذ ركز على نظرية الحضارة، وعلى أسس ومعالم وملامح فلسفة هذه النظرية، كما وقف على ظاهرة التجديد الحضاري من حيث أسس بناء الثقافة الرصينة والاحتفاظ بالجذور الروحية، ودور الجاهزية النفسية في البيئة الداخلية محور الذات، وآليات التمكين الذاتي والمجتمعي، وموازنة الفرد فلا وقوف عند السكون والجمود، ولا فوضى في الحركية غير الممنهجة.

إن خاصية ملمح إستراتيجية التجديد الحضاري عند المفكر فتح الله كولن، تستند إلى تحريك الإيمان كمولد الطاقة (الدينامو) الأساس للإنسان الحركي، وإلى العبادة سند الوقاية المناعية، والأخلاق الإنسانية العلامة المميزة لنجاح أسس النهضة.. كما ترتكز على وظيفة العقل كمركز لحراسة الروح من الاضطراب، وأداة لتوجيه الإنسان نحو التفكر والإدراك والفهم.. كما اهتم بمراعاة أولوية المستقبل في بناء الفهم الثقافي مع استحضار الزمن التالي وتطويره في الزمن الذاتي لاستشراف المستقبل. فتفهّمُ حركية الوحي ومصادر الشريعة وروح الإسلام، تحفز قوة الإرادة الفردية وتصون الروح والعقل معًا، وتحصّن الفرد بلقاح الممانعة نحو سبل تجنّب أسباب التراجع والهبوط الحضاري، كما تؤهله نحو الرقي والتميز داخل فضاء المنافسة الحضارية العالمية.

وبالتالي فخصوصية المفكر فتح الله كولن، تكمن في رؤيته المستقبلية لطرق وآليات البناء الحضاري، وذلك بالنزول الفوري إلى مختبرات الواقع بخطة استعجالية تحفز روح الإرادة والفاعلية لدى جيل الناشئة، وتقوي عنصر الثقافة الذاتية، وتحيي مبادرة تفعيل قدرة الإنجاز وتحريك القابلية. وهي خطة لم تدع فقط إلى النفير الحضاري، وإنما إلى عقد حزمة النفير بالنزول إلى واقع التعليم وتطوير إستراتيجية الفكر والتعليم، باستلهام

إن دراسة إستراتيجية البناء الحضاري لدى المفكر فتح الله كولن، هي دراسة في منهج البناء الذاتي العميق للإنسان بدينامو حركية الإيمان، والبيئة التمكينة، والانفتاح الثقافي المتوّج بحصانة الذات وتأهيلها لعملية أستاذية البناء الحضاري الإنساني.

حراء

أقوى المناهج التربوية المستقاة من المصادر الأساسية لميراثنا الثقافي (القرآن الكريم، السنة النبوية، الإجماع، القياس، الاستحسان، المصلحة، التصوف، علم الكلام، العرف والعادة، العمل)، وهي مناهج كفايات معرفية ذاتية حرّكت عقلية الإنتاج المعرفي لإبداع منهج "الزُّمَر"، كما استلهمت منهج السنة النبوية في الكفايات النفسية من خلال التزكية التربوية، باستثمار منهج "الصحبة" في التوجيه والترشيد والتتبع الأخلاقي للمعارف.

إن المفكر فتح الله كولن، استطاع -فعلاً- أن يحرك النفير الحضاري في تركيا حين استقطب أبناء النفير من مهندسي عالم الفكر، وحوّلهم إلى بناة جسور المعرفة والفكر في البلاد -من أدناها إلى أقصاها- عبر مشاغل البحث في الثقافة الذاتية، ومدارس تحتضن مناهج ذاتية غير مستوردة؛ مناهج تخدم مستقبل بيئة فلسفية لواقع حياة المسلم الذاتية. وقد اعتمدت خطة رؤيته المستقبلية، النزول إلى مختبرات تركيب وتحليل لمنطق محاكمة العقل الذاتي للفرد المؤهل بثقافته الرصينة، للانبعاث الثقافي، وجودة الإنتاج والعطاء الحضاري محليًا وعالميًا.

إن منهج الرؤية المستقبلية للمفكر فتح الله كولن، تكمن في قدرته على فك لغز الكلمة المفتاحية لفتح القلوب حين حلل خصائص الشهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وبيّن أن كل الخصائص الإيمانية -حسب الإسلام- تتأسس على هاتين الجملتين الوجيزتين اللتين هما تعبير عن حقيقة لها وجهان؛ أحدهما غاية، والأخرى وسيلة. ثم ربط الخصائص الإيمانية بالمعرفة الإنسانية، وضبط حركية العطاء المعرفي بدينامو الإيمان

hiragate.com

الروحي.. "فالإيمان الذي هو كـ"شجرة طوبى" تنشأ من هذه البذرة، فتغطي بما تؤتي من ثمار المعرفة، سماءَ حس الإنسان وشعوره وإدراكه.. ثم تستحيل العلوم والمعارف كلها إلى العشق والاشتياق والحرص بحملة داخلية وشعور وحس داخلي، ليحاصر ذاك الإنسانَ من كل جهة، فيصيّره إنسانًا جديدًا قائمًا على محور الوجدان.. فتنعكس هذه الحالُ على كل سلوكيات هذا الإنسان العاشق المشتاق، وتتمحور حملاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية كلها حول هذه القوة الجاذبة "إلى المركز"".

كما استلهم خطه الاستشرافي الرسالي الحضاري، بالوقفة النبوية مع منهج النبي ﷺ وآليات بنائه الحضاري؛ حيث ركز على العناصر الأساسية التي ساهمت في تشكيل الظاهرة الحركية الإرادية الإنجازية التغييرية لزمن النبوة وهي:

• عالم العقيدة الإسلامية، الله، الكون والإنسان.

• المنهج النبوي في البناء الحضاري "مرتبط بالسنن، وبمنهج روح الإيمان وإكسير الوحي الذي يرشد به الأنبياء خط فاعلية الشهود الحضاري".

• الإنسان بمواريثه وأمراضه الكونية والاجتماعية، عليه أن يتذكر ما تذكره أجداده في العصور الذهبية "بأنهم خلفاء الله في الأرض".. عليه أن يتحرر من قيود التبعية والتقليد، وأن يجدد في دائرة مقوماته الذاتية.. يبحث ويتعمق في الفهم على الدوام، حتى يصير أستاذًا يعلّم الإنسانية دروسًا في قيم رحاب معارف الحضارة العالمية.

• ثقافة المجتمع، وتاريخه، ومؤسساته، ميراث الإنسانية عمومًا. فعملية التأثير والتأثر بين فلسفة الحياة لأي مجتمع، ونمط سلوكيته، هي الطريقة المثلى لتوحُّد المجتمع وتَطابقه مع فلسفة حياته وأسلوبه الذاتي وطبيعته التاريخية، حتى يصبح مجتمعًا مستقرًّا بماضيه وحاضره، ومنفتحًا على العقل والفكر والوحي، وإلا فإن الأمور الفلكلورية التي لم يكتمل سياق تطورها، والتي تم نسجها من العادات والتقاليد والهويات وما يُشبِع الغرائزَ والأذواق -حتى المؤلّهة منها- ما هي إلا نماذج خادعة من العدم والعوز الثقافي.

وبالتالي فالثقافة بالنسبة لفتح الله كولن، تكتمل بالانفتاح على كل الأنشطة الفكرية والذهنية المرتبطة بواقع الإنسان، وهي خلاصةٌ وعصارةٌ للخلطة المشتركة لتلك الأنشطة. لذلك، فإن الواجب يحتم علينا -حسب المفكر فتح الله كولن- أن نكافح من أجل الحفاظ على ذاتيتنا بالارتباط بمنظومتنا العقدية والفكرية، والتوجه نحو ثقافتنا ونتاجها. وأن نقوم بتحقيق ألوان جديدة من الفكر والعرفان -إذا اقتضى الأمر- فوق أطلسنا الفكري.

البيئة المؤسِّسة للبناء الحضاري

البيئة ظلَّت مصدر القيم الثقافية في كل الحضارات سابقها وحاضرها، ويسميها المفكر فتح الله كولن بـ"البيئة العامة" التي تكون حركية "شمولية" تتنفسها جميع شرائح المجتمع كالهواء، وترتشفها كالماء، وتشمها كالزهور، وتصغي إليها كالطبيعة.. فالثقافة إنما تتسع وتحوز على قدرة التأثير الدائم بهذه "الشمولية". وهي من أهم المقومات التي تُوصِل الفردَ والمجتمع إلى درجة النضج من الجهة النفسية والأخلاقية.

"إن المجتمع السليم الواعدَ بمستقبل مشرق، يتكون من أفراد سليمين هُمْ منه كالجزء من الكل، ولكن -من جانب آخر- وجودُ أفراد منضبطين وممتازين وتطورُهم، لا يتم إلا في مجتمع سليم كهذا، وإن كان هذا المقترب يؤدي بنا إلى نوع من "الدَّوْر المحال". فإن بيئة عامرة بتراثنا الثري، ستؤثر في كل وقت في العالِم والجاهل، والشاب والكهل، والبدوي والحضري، والمفكر والسارب في هواه. وما إن يفتح هؤلاء أعينهم ويرتبطون بما حولهم، حتى يوحي المحيطُ والجو العام إليهم دائمًا بأمورٍ، ويحاسبهم ويحاورهم.. وبِواردتها وغناها، أو بفقرها، أو بوسطها النفسي والمادي، قد تغذيهم وتربّيهم وتعمّرهم، أو تقوض عواطفهم وأفكارهم وتحيل كل شيء إلى خراب. وقد لا يتسنى للإنسان أن يحس -على وجه تام- بمدى التأثير الذي يُحدثه جو "روح الأمة" على أي مجتمع وعلى أفراده من كل النواحي. ولكن ينبغي أن نستحضر دائمًا أن كثيرًا من التفرعات والتفاصيل الجزئية في العالم النفسي أو المادي، والتي بدت هينة ومستصغرة، قد فَتحت الأبواب

hiragate.com

لاكتشافاتٍ ومبادرات واختراعات تتعدى الخيال في أهميتها. ففي بعض المواقف، فَارَ وجدانٌ بملاحظةِ ترقُّبِ قطة لجُحرِ فأر بلا توان، وانكشفت آفاق واسعة أمام عقولٍ فَكَّرت في التناغم البديع لمجتمع النمل والنحل، الذي لا يضاهِي كمالَه أعظمُ الجمهوريات كمالاً.. وكم من أمر مستصغر في عالم المادة، أذكى نار أذهان وقّادة".

"إن المجتمعات المتطورة والمتقدمة اليوم، كانت من قبلُ تعاني ما نعانيه اليوم، ثم جاءتها أيامٌ فُتحت فيها أبواب التجديد على مصاريعها بفضل ما كانوا يتمتعون به من شوق البحث، وعشق العلم، وحثيث العمل ومكافأةِ مَن وُفّقوا بأجزل المكافآت.. فتَحقّقَ النجاح إثر النجاح، مما أدى إلى فوران العزم وشحذِ التوق، وصارت البيئة عندهم، مشاتل تحتضن فسائل العبقرية.. فتَتابَع الاختراع من مكائن البخار إلى مصانع النسيج، ومن مختبرات الأبحاث إلى المطابع، وبَلَغوا -بعد مدةٍ- عصرَ العلم والعقول الإلكترونية.

ولما كافأ، الذين يقدِّرون العلم -في تلك الأيام- الكشوفاتِ والاختراعات والأبحاثَ العلمية، صاروا وسيلة لانكشاف القابليات العظيمة في كل مكان لِتجدَ فرصتها في النماء والتطور، فكأنّ أطراف أرضهم معرض العجائب لأعمال النوابغ الذين لا يَعرفون الفتور.

وكما تعاقب ظهور العلماء في عالمنا الإسلامي من أمثال ابن سينا، والفارابي، والخوارزمي، والرازي، والزهراوي، إبان تحقُّق الوسط والبيئة الشبيهة، فكذلك استَخدم الغربُ ما توارثه من المكتسباتِ خير استخدام وبأوسع وجه ممكن، في ذلك الوسط، واستطاع أن يسِمَ القرون الأخيرة بسِمَته، والنموذج واضح بالنسبة لنهضة ألمانيا واليابان".

المدرسة كمعجزة حضارية وكمنهج تغييري

المدرسة في نظر المفكر فتح الله كولن هي قاطرة المستقبل، بقدر ما تكون متوجهة نحو الهدف ومتسمة بالعمق، تصبح ميناء أو مطارًا أو منطلقًا للأمة؛ بشرط أن تُصْهَر مكتسباتها في بوتقة الثقافة الذاتية، وإلا فمن البدهي أن المدرسة لن تستطيع حل المشاكل الفردية والاجتماعية. "إن المدرسة -باعتبارها دائرةَ تخطيطٍ ومركزَ مشروعٍ- من الممكن أن تعني شيئًا بقدر ما يستمع الوجدانُ الاجتماعي إلى صوتِ شيء من برامجها المنسجمة مع الأخلاق العامة وثقافة الأمة. ولكن من العسير جدًّا -بل من المحال- أن نستدل على أنموذج واحد أنجزته المدرسة بوحدها.. المدرسة أعطت ثمارها بمقدار أهميتها، والبناء الحضاري يأتي بدرجة دمج ما ألهمته المدارس من العلوم والتجارب العالمية، بهويتنا الثقافية وتغذيتها بأسس الجذور المعنوية لتراكماتنا وتجاربنا العلمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية".

فالقدرة على فهم هذه العناصر في سياقها الاجتماعي والعضوي، هو الذي سيكشف لنا عن معالم المنهج النبوي في بناء الحضارة العالمية، من خلال تقديمه لنموذج من نماذجها، وهو المثل الكامل، والقدوة الحضارية التي تمثل معيار البناء الحضاري الإسلامي. وبالتالي فإن استلهام المفكر فتح الله كولن أسسَ البناء الحضاري من المنهج النبوي في بناء النموذج الأول للحضارة العالمية، ووضْع برنامجه، وتأسيس قواعده، وترسيم حدوده، وصياغة منهجيته، وتحديد وجهته، وتعليم مقاصده.. كان مبنيًّا ومرتبطًا ومنسجمًا -في كل محطاته- مع أصول الوحي الأعلى الذي أدار أسس البناء الحضاري في فلسفة الأستاذ فتح الله كولن حول الإنسان كفرد (الأصناف، الزُّمَر)، وكمجتمع (الخدمة، الهِمّة)، وكأمة (التّولّي)، وكإنسانية (الانفتاح والرحمة). فدراسة إستراتيجية البناء الحضاري لدى المفكر فتح الله كولن، هي دراسة في منهج البناء الذاتي العميق للإنسان بديناميو حركية الإيمان، والبيئة التمكينة، والانفتاح الثقافي المتوّج بحصانة الذات وتأهيلها لعملية أستاذية البناء الحضاري الإنساني. ولعل الدارس لفكر الأستاذ فتح الله كولن، يعي تمامًا قيمة هذه الرؤية المستقبلية في البناء النهضوي الحضاري الإنساني وفق فلسفة هذا المنهج الاستشرافي المستقبلي، ومشروعه، وغاياته، ومقاصده، وأدواته، وشروطه، وأساليبه، ومنهجيته. ■

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بـ"القنيطرة" / المغرب.

hiragate.com

حسن بن محمد*

ابن الجزار
طبيب القيروان

ابن الجزار هو طبيب مشهور ولد بالقيروان وتوفي فيها في سنة ٣٦٩ هجرية. ولقد اشتهرت أسرته بممارسة مهنة الطب. تعلّم على إسحاق بن سليمان الإسرائيلي. ويعدّ ابن الجزار من أشهر فلاسفة وأطباء المسلمين في القرن الرابع الهجري، حيث كان صاحب مكانة علمية غير مسبوقة في بلاد المغرب العربي.

مارس ابن الجزار مهنته حرًّا ومستقلاً بداره بمدينة القيروان، وفي إطار عمله خصص غرفة للمرضى لانتظار مقابلته، وغرفة أخرى للعيادة والفحص والنظر في قوارير البول والتحاور مع المرضى، ثم يوجههم بعد ذلك إلى غرفة ثالثة وهي الصيدلية التي أجلس فيها مساعدًا له يسمى "رشيق" الذي كان يعِدّ بين يديه جميع المعجونات والأشربة والأدوية.

كان ابن الجزار يعالج مرضاه بأقل كلفة ممكنة وأيسر مؤونة حسب تعبيره في مقدمة كتابه "طب الفقراء والمساكين". وذكر ياقوت الحموي أن ابن الجزار كان له معروف كبير على المسلمين؛ حيث كان يفرّق الأدوية على الفقراء، ويوزعها على المعوزين بدون مقابل.

تأسيس مدرسة طبية

أسس ابن الجزار مدرسة طبية، وتتلمذ عليه عديد من الأطباء، منهم الطبيب الأندلسي عمر بن حفص بن بريق؛ حيث مكث هذا الطبيب عند ابن الجزار ستة أشهر، ثم رجع إلى الأندلس حاملاً معه نسخة من كتاب "زاد المسافر وقوت الحاضر" وروجه بأوربا. ولقد وقع ترجمته إلى اللغات اللاتينية واليونانية وغيرها. ومعلوم أن الترجمة اللاتينية لكتاب "زاد المسافر" قام

بها قسطنطين الإفريقي منذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي، متناسيًا عمدًا اسم المؤلف، وقام بنسبة الكتاب إلى نفسه.

تعديله القوانين الطبية ومؤلفاته

قام ابن الجزار بتعديل القوانين الطبية العامة، وضبط أسماء النباتات بثلاث لغات وهي الأمازيغية والعربية واليونانية. ولقد ذاع صيته، وتجاوزت شهرته حدود تونس. وكان طلاب الأندلس يتوافدون إلى القيروان لتحصيل الطب منه. ألف ابن الجزار مصنفات كثيرة شملت فنونًا مختلفة، ولكنها اتجهت في المقام الأول إلى العلوم الطبية، أشهرها كتاب "زاد المسافر" وهو في مجلدين. ولقد وقع ترجمته إلى عدة لغات، وهو ذو قيمة طبية عالية، ما زالت بعض الكليات والجامعات تستفيد منه إلى اليوم. ألف ابن الجزار كتابه هذا ليكون دليلاً طبيًّا للمسافر إلى البلدان البعيدة، والتي لا يوجد فيها طبيب.

كما ألف ابن الجزار كتابًا في الأدوية المفردة يُعرف بـ"الاعتماد في الأدوية المركبة"، وكتاب "العدة لطول المدة" وهو أكبر كتاب له في الطب، وكتاب "التعريف بصحيح التاريخ" وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها، وكتابًا في المعدة وأمراضها ومداواتها، وكتاب "طب الفقراء"، ورسالة في إبدال الأدوية، وكتابًا في الفرق بين العلل التي تشتبه أسبابها وتختلف أعراضها، ورسالة في التحذر من إخراج الدم من غير حاجة دعت إلى إخراجه، ورسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه، ورسالة في النوم واليقظة، ومقالة في "الجذام وأسبابه وعلاجه"، وكتاب "الخواص"، وكتاب "نصائح الأبرار"، وكتاب "المختبرات"، وكتاب "في نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك وعلاج ما يتخوف منه"، ورسالة في المقعدة وأوجاعها، وكتاب "المكلل في الأدب"، وكتاب "البلغة في حفظ الصحة"، ومقالة في الحمامات. وألف في التاريخ والسير كتاب "مغازي أفريقية"، وكتاب "أخبار الدولة"، و"التعريف بصحيح التأريخ". وفي الجيولوجيا ألف كتاب "الأحجار". وفي الجغرافيا كتاب "عجائب البلدان". وفي الفلسفة "رسالة في النفس"، و"رسالة في الاستهانة بالموت". وفي الأدب واللغة كتاب "المكلل في الأدب"، و"الفصول في سائر العلوم والبلاغات".

تخصصه بطب الأطفال

لقد أفرد تربية الأطفال والأمراض التي تصيبهم بمؤلف خاص وهو كتابه "سِياسَة الصبيان وتدبيرهم"، حيث بيّن فيه كيفية العناية بالأطفال منذ ولادتهم، وكيفية تغذيتهم وغسلهم وتنظيفهم وإرضاعهم، وتحدث عن صفات اللَّبن وتركيبه، والمرضِعات والحاضنات، وعن الأمراض التي يتعرض لها الصبيان من الرأس حتى القدم، وعن تدبيرها وعِلاجها.. ولقد ختم كتابه في الحديث عن طبائع الصبيان وعاداتهم. ومن خلال كتابه هذا، نستطيع القول بأن ابن الجزار هو أول طبيب عربي متخصص في مجال طب الأطفال.

وصف المؤرخون ابن الجزار بأنه كان أبيًّا عزيز النفس، لا يتزلّف لأحد من السلاطين أو الأمراء، ولا يمتنع عن خدمة أي مريض غنيًّا كان أم فقيرًا، بل إنه كان رفيقًا بالضعفاء، ويبذل المال للفقراء والمساكين، حيث كان يوزّع عليهم الأدوية مجانًا. وقيل إنه كان ينفق على علاج الفقراء من أموال أسرته الثرية، وكذلك من أجره عند علاج الأغنياء والحكام. ولقد خلّف بعد مماته أربعة وعشرين ألف دينار، وكان بعيدًا عن الشبهات، ولم يخلد إلى اللذات، فهو يشارك الناس أفراحهم وأتراحهم ولكنه لا يأكل فيها. ويذكر المؤرخون أيضًا، أنه كان يذهب إلى مدينة "المنستير" بساحل تونس، ويرابط فيها مع العباد والزُهاد عدة أيام. وكان ينطلق في كل صيف مع مجاهدي البحر ليتصدى للسفن البيزنطية التي تهاجم المسلمين في البحر الأبيض المتوسط.

منهجه العلمي

لقد تميز ابن الجزار في منهجه العلمي القائم على البحث والتصنيف، وكان سبّاقًا في اتباع هذا المنهج في دراسته الطبية والصيدلانية. كان ابن الجزار عالمًا متواضعًا لا همّ له سوى البحث والتقصي والاشتغال بالجديد في مجال النباتات والعقاقير؛ حيث صنف في الأمراض، وخص بعض الأعضاء بالبحث، وبعض

hiragate.com

الأمراض بالتأليف، كما خص الفقراء ببعض المؤلفات. وأفرد للخواص والأثرياء كتابًا، وجعل قسمًا من تأليفه متعلقًا بالأدوية وآخر بالأمراض. وصنف في الأدوية فخصص بعضها للأدوية المركبة وأخرى للأدوية المفردة. وكان رائدًا في الممارسة الطبية، حيث فرق بين "بيت الوصف" وهو مكان فحص المريض، و"بيت الصرف" وهو مكان تقديم الدواء للمريض.

أما منهجه في تأليف كتب النباتات الطبية والصيدلانية، فكان يتبع في التصنيف النباتي منهجًا يعتمد على تسعة أسس كما يتضح في كتابه "الاعتماد"، وهي تصنيف النباتات بحسب اللون، وبحسب لون النوّار، وبحسب هيئة النبات، وبحسب هيئة الأوراق أو البذور أو الأغصان، وحجم النبات، وبيئة الإنبات وزمن الظهور، والمنطقة الجغرافية، وجنس النبات من حيث الذكورة والأنوثة.

كما كان لابن الجزار منهج في دراسة الأدوية، خصوصًا المستخرجة من النباتات. فيذكر اسم النبات باللغات العربية واليونانية والفارسية والبربرية والسريانية واللاتينية، ويوضح قوة الدواء، ويصف الدواء وصفًا تفصيليًا ثم يشرح الخصائص العلاجية والحالات التي يؤخذ فيها هذا الدواء. كما يشرح كيفية الكشف عن غش الأدوية، وكيفية استبدالها ببدائل، وقد شرح ذلك في كتاب خاص هو "إبدال الأدوية".

لقد كانت علوم ابن الجزار تُعتمد في الشرق العربي، وأعجب بها الكثير من ممارسي مهنة الطب، وكانت أيضًا تصل إلى الأندلس. والملاحظ أن تلك الإنجازات الطبية الجريئة، قد اقتحمت أوروبا في القرن العاشر الميلادي، وكان "نابليون بونابرت" يحمل معه دائمًا كتاب ابن الجزار "زاد المسافر وقوت الحاضر".

إن معظم مؤلفات ابن الجزار لا زالت تحظى بدراسات أكادمية في ميدان الطب والصيدلة في كليات الغرب وخصوصًا في الجامعات الفرنسية. كما بقيت كتبه تدرس في تونس من قِبل الأطباء قرابة ستة قرون بعد وفاته. ■

(*) كاتب وباحث تونسي.

سفينة النجاة

شُقِّي عُبَابَ اليَمِّ يا سفينة النجاة!
لا تخافين دَرَكًا، ولا تخشَين غَرَقًا..
فشِراعُكِ باسم الله خَفَّاق،
والملائكة من حولك سابحات مسبِّحات..
أمَّا ربابنتك فرُسل وأنبياء،
وبَوصَلَتُكِ كتاب الله،
وعين القَدَر ترعاكِ،
واليوم الآخِر مشتاق إليك،
وشواطئ الأبدية في عرسٍ لتلقاك..
فيا ويلَ من ركب سواك.

* * *

د. رضا عبد الحكيم رضوان*

انقراض أسماك الهامور
من المسؤول؟

١ الإنسان منذ بدء الخليقة، يسعى لكشف أسرار العالم.. وهذا يفسر مطاردته أعاصير الأرض، وارتياد البحار، وسبر الكهوف الصخرية والمائية، وامتطاء الجبال العملاقة، والتحليق عبر الفضاء بحثًا عن خلق الله وأسرار السماء المليئة بكل عجيب وغريب، والغوص في أعماق البحار والبحث في قيعان المحيطات.

والإنسان في سعيه الدؤوب لكشف أسرار البيئة التي يعيش فيها، قد توصل إلى معارف شتى. وما إن يتوصل إلى كشفٍ وتفسيرٍ، يجد نفسه في احتياج أكثر فأكثر ليستجلي الغموض. إنه الإنسان، يريد الوصول إلى حقيقة كل شيء.. هكذا خلقه الله.. ألم يقل رب العالمين: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾(النجم:٣٩-٤٠). وكلما توصل إلى معرفة، يجد نفسه ما زال غير محيط فيستمر، لأن علم الله لا حدود له، ولن يصل إليه البشر مهما كانت تكنولوجياته وعلومه المبهرة.. ألم يقل ربنا: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(الكهف:١٠٩). وهكذا يعجز الإنسان عن تحقيق العلم بكل شيء، وتلك حقيقة نصَّ عليها القرآن في قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾(العنكبوت:٢٢).

صدر تقرير علمي حديث يتصل بعلم الحيوان، وبالتحديد في الحيوان المائي والذي يسمى سمكة القُشر الأطلسي العملاقة، والسمكة من هذا النوع تنتمي إلى عائلة سمكة "الهامور" في منطقة الشرق الأوسط، يقول التقرير: "تتسم أسماك القُشر الأطلسي العملاقة، بطبيعتها الاجتماعية الميالة للاختلاط والاحتكاك الجسدي، لذا فإنها نادرًا ما تشاهَد منفردة، ويبدو أن هذا الاختلاط

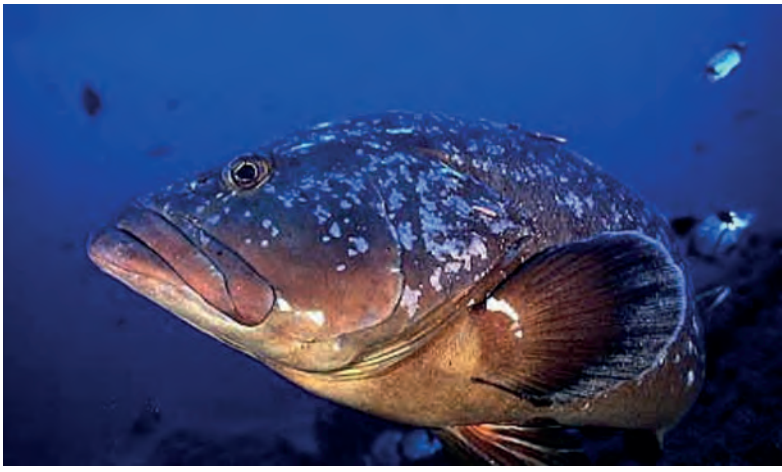

يتم بأعداد متساوية من الجنسين. اكتشف العلماء في الآونة الأخيرة أن بعضها تتخذ صفة "خنثى مبكرة الأنوثة"، بمعنى أنها تكون إناثًا عندما تفقس من البيض ثم تتحول إلى ذكور، ولا يُعلم حتى اليوم سبب ذلك".

التقرير الصادر أثبت أن حالة التحول هذه، تصيب فقط بعض هؤلاء السكان البحريين. والخوف يجيء من احتمال تفشّي هذه الحالة في جميع أفراد ذلك الحيوان البحري "الهامور" العجيب؛ إذ سيكون مستقبل مجتمع هذه الأسماك، مجتمعًا ذكوريًّا، وهذا يعني اختفاء الإناث لاحقًا وبالتالي توقّف التزاوج والتناسل، والنتيجة المنطقية -قطعًا- انقراض هذا الحيوان.

يضع الكاتب هذه اللفتة تحت نظر علماء الحيوان البحري، ويتساءل: هل الأضرار البيئية التي يحدثها الإنسان هي مسبب تلك الحالة؟ خصوصًا وإن نصوص القرآن قد حذرتنا من إفساد البيئة منذ أربعة عشر قرنًا، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الروم:٤١).

سمع الغواصون قرب ساحل جنوب غربي فلويدا، وعلى عمق ثلاثين مترًا تحت سطح الماء، هديرًا مدويًا في مياه البحر، ثم تلاه دوي آخر وكأنها فرقعة ألعاب نارية آتية من بعيد. ثم تبين لهم أنه ضجيج صاخب ينبعث من بدن سفينة غارقة احتشد في هيكلها المحطم سرب أسماك عملاقة، إنها سمكة "الهامور".

تجتمع أسراب سمك القشر "الهامور" حول حطام السفن الغارقة، وفي الحيود المرجانية، لتناول الطعام وللاندماج في بيئتها الاجتماعية. تنمو هذه السمكة حتى وزن ٣٦٠ كلغ، ويقارب طولها ثلاثة أمتار. وتتميز بفكيها البارزين وزعانفها الكبيرة الشبيهة بسعف النخيل، وجلدها المرقط برقش ذات ألوان ظلية بُنيّة وخضراء. تعلن سمكة القُشر "الهامور" وجودها للمخلوقات البحرية المتربصة، من خلال ضغطها على مثانة السباحة في بطنها، وهي عبارة عن أكياس هوائية تساعدها على الطفو، وعلى إصدار ذلك الهدير المدوي واحدًا تلو الآخر.

بعث المجتمع العلمي إنذارات حول مصير هذه السمكة العملاقة العجيبة. فقد كانت أعداد هذا السمك في الماضي كبيرة، وأسرابه منتشرة على نطاق واسع وبعشرات الآلاف في مياه الخلجان جنوبي الولايات المتحدة ومنطقة البحر الكاريبي والبرازيل، غير أن أعداده تضاءلت إلى مستويات غير معلومة -ربما أقل من ألف سمكة- من جراء تعرضه -لسنوات- للصيد الجائر باستخدام بنادق الرماح والصنارات.

يقوم الباحثون بإعداد قاعدة بيانات حول هذه السمكة، باتباع إستراتيجيات بحثية ميدانية، من خلال رحلات بالقوارب إلى أماكن الأسماك. وما أن يتم الإمساك بالواحدة حتى يجري الباحثون قياس جسمها، وإزالة قطع صغيرة من النسيج الغضروفي، لاختبار الحمض النووي وتحديد السن، وأخْذ عينات من محتويات المعدة لدراسة نظامها الغذائي، ثم فحص جهازها التناسلي للتأكد من أيّ علامات دالة على فترة التناسل. بعد ذلك يتم تثبيت شريحةٍ تتبّعٍ تحت جلد كل سمكة على حدة قبل إرجاعها إلى البحر. ويقوم الباحثون من خلال هذه العملية، بتتبّع الأسماك التي تحمل تلك الشرائح، وجمْع معلومات عن أماكن وأوقات وجود كل منها، وعن مستوى صحتها.

يرى الباحثون أن سلوك السمكة قد أسهم في انخفاض أعدادها نتيجة بقائها المستمرّ لا تتزحزح عن الأماكن التي تعيش فيها.. فهي لا تبرح الحيود المرجانية لوفرة الغذاء والمأوى الفسيح. وإن نقص حركتها، يجعلها هدفًا سهلاً للصيد في الأعماق التي عادة لا تزيد

hiragate.com

على ٣٠ مترًا تحت الماء. وتمثل هذه الأسماك أطباقًا شهية لدى سكان الجزر. كما أن حجمها العملاق، استهوى أصحاب الرياضة والترفيه، وبالتالي أقيمت مسابقات حول اصطيادها. كل هذا، استنزف هذا النوع من الأسماك، خاصة إذا ما علمنا أن نموها بطيء يستغرق وقتًا طويلاً، أضف إلى أنها أسماك وديعة مسالمة.

جاء عام ١٩٩٠ ليدرج أسماك القشر "الهامور" ضمن قائمة الأحياء البحرية المهددة بالانقراض، فصدرت القوانين التي تحميها ضد الصيد الجائر. ولتستمر الأسماك ذات الحركة المتثاقلة في ممارسة حياتها بالمحميات، تتغذى على أحياء بحرية أخرى مثل النهاش والأنواع الأخرى من القشر، وسرطان البحر والسلطعون، الأمر الذي سجل فيه البيئيون تعافيًا واضحًا للأسماك فانطلقت للتكاثر، وشوهدت ملتصقة بالحيود الضحلة ماكثة بالحواف الصخرية وحطام السفن.

والأصل هو عدم تنقل هذه الأسماك، فتظل رابضة بأماكنها، حيث لا تغادر أماكنها إلا عندما تريد وضع البيض. يقول الباحثون إنه عندما يحين موعد التزاوج، تقطع هذه الأسماك مسافات طويلة قد تبلغ ٥٠٠ كلم في بعض الأحيان، للوصول إلى مواقع التفريخ. وتغطي الرحلة ٤٠ كلم في اليوم الواحد على خط مستقيم، وعند الوصول تحتشد الأسماك -الآتية من كل حدب وصوب- قرب حطام السفن الغارقة والحيود المرجانية، فتشكل على الساحل تشكيلات يشبه كل منها رصاصة عملاقة، ثم تشرع في الاهتزاز والاحتكاك وإصدار الأصوات تحت جنح الظلام، إذ تقذف الحيوانات المنوية في مرمى البيض المنتشر هنا وهناك. وهكذا يتم "صنع" الأجيال التالية.

بيد أن هذه الأسماك باتت مهددة إثر اكتشاف بعض البيض الذي يتخذ صفة خنثى مبكرة الأنوثة؛ بمعنى أنها تكون إناثًا عندما تفقس من البيض، ثم تتحول إلى ذكور. وهذا فيه تهديد للنوع إذا تفشت هذه الظاهرة الذكورية، التي تحدث إخلالاً في معادلة التناسل الفطرية، والتي لا تتم إلا في وجود الإناث.

في عالم يعج بالتلوث البيئي، والإخلال بالتوازن

البيئي، وعدم الاكتراث بالضوابط والقوانين البيئية لحماية البيئة البحرية ومكوناتها.. دق العلماء ناقوس خطر تعاطي أسماك "الهامور" مادة الزئبق ذات التأثير السام المميت. وقد رصد الباحثون آثارًا لأعراض مرضية، حيث يصاب كبد السمكة بالآفات الناشئة عن ارتفاع مستويات الزئبق في جسدها، مما يجعل من تعاطي الأسماك ذاتها، مصدر تسمم غذائي للبشر.

وما زال العلماء يحاولون كشف الصلة بين تناول الأسماك للزئبق، ومشكلة تحول الإناث الخارجة من بيضها إلى ذكور. وعلى صعيد آخر، يعزو بعض الباحثين أسباب تلك الظاهرة -ربما- إلى تدخل الإنسان بمشروعاته العقارية الساحلية والزراعية وملوثاته، مهددًا المواطن الطبيعية المستقرة تحت المياه الضحلة التي تقطنها الأسماك، لأن التدخل العمراني البشري، يزيل عناصر بيئتها التي تعيش فيها، خصوصًا شجيرات المنغروف التي توفر بيئة اجتماعية متوازنة لتلك الأسماك.

إن الله ﷻ قد خلق الموازين، ولكل شيء ميزانه، والذي يحدث من البشر من إخلال بالتوازن البيئي، يلحق الضرر بمكونات البيئة ومنها البيئة البحرية. وهذا ما تحقق بالنسبة لأسماك "الهامور" كما أثبتت الدراسة. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

hiragate.com

أسامة أبو العباس شهوان*

القومية الإيجابية عند النورسي
مقوماتها وضوابطها

إن الوحدة بين الإسلام والقومية الإيجابية، تتخذ مكانة في أعلى هرم الهوية الإسلامية عند بديع الزمان سعيد النورسي؛ حيث يؤكد على أننا "نحن معاشر المسلمين، الدين والقومية عندنا متحدان بالذات، والاختلاف اعتباري، أي ظاهري عرضي، بل الدين هو حياة القومية وروحها، فإذا ما نظر إليهما بأنهما مختلفان ومتباينان، فإن الحمية الدينية تشمل العوام والخواص، بينما الحمية القومية تنحصر في واحد بالمئة من الناس ممن يضحي بمنفعته الشخصية لأجل الأمة. وعليه، فلا بد أن تكون الحمية الدينية أساسًا في الحقوق العامة، وتكون القومية خادمة منقادة لها وساندة حصينة لها. فنحن الشرقيين لا نشبه الغربيين؛ إذ المهيمن على قلوبنا الشعور الديني، فإن بعث الأنبياء في الشرق، يشير به القدر الإلهي إلى أن الشعور الديني وحده هو الذي يستنهض الشرق ويسوقه إلى التقدم والرقي، والعصر السعيد -وهو خير القرون والذي يليه- خير برهان على هذا".

ولقد زاد النورسي الأمر توضيحًا وتوكيدًا قائلاً للجميع: "إن الحمية الدينية، والقومية الإسلامية قد امتزجتا في الترك والعرب مزجًا لا يمكن فصلهما، وإن الحمية الإسلامية هي أقوى وأمتن حبل نوراني نازل من العرش الأعظم؛ فهي العروة الوثقى لا انفصام لها، وهي القلعة الحصينة التي لا تهدم".

كما يلفت النورسي الأنظار إلى هوية الانتساب هذه، وهو يخاطب الأتراك بصفة خاصة موجهًا إياهم: "أيها الأخ التركي، احذر وانتبه أنت بالذات، فإن قوميتك امتزجت بالإسلام امتزاجًا لا يمكن فصلها عن الإسلام، ومتى ما حاولت عزلها عن الإسلام فقد هلكت إذن وانتهى أمرك".

وإن كان النورسي قد عارض بشدة الدعوة إلى الهوية القومية، فإنه وضح في الوقت ذاته القوة الكامنة في القومية الإيجابية حين تكون تحت إمرة هوية الأمة الإسلامية؛ لأن "القومية الإيجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية. هذا الفكر الإيجابي القومي، ينبغي أن يكون خادمًا للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسورًا منيعًا حوله لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلاً عنه؛ لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة".

وبهذه الهوية المتميزة تصبح الأمة الإسلامية بؤرة جاذبية، ومركز ثقل بشري حيوي يشد إليه وحداته الداخلية -فرادى وجماعات- دون أن يذيبها ليفقدها معالمها، كما أنه يجذب نحوه مفردات جماعية من خارج إطاره.. ولذلك "فإن الحكمة الإلهية التي هي نظام العالم، والمؤسسة للقانون الإلهي النوراني الساري في أرجاء العالم كله، قد رفعت أصبع القدر منذ الأزل تأمركم: حافظوا على الموازنة العامة بتوحيد ومزج حميتكم وقوتكم الضائعتين بالتفرق ضياع قطرات الماء المتناثرة بالفكر الملّي -أي الملّة الإسلامية- مكونين بذلك جاذبة وطنية عظيمة من جاذبات الذرات الجزئية؛ فتنجذب هذه الكتلة العظيمة، وتدور -كالكوكب المنير- في موكب الجماهير المتحدة الإسلامية الممثلة لشوكة شمس الإسلام العظيم".

مقومات الأمة وحمايتها

إن الحرية، والعدل، والشورى، وحفظ كرامة الإنسان وحقوقه، والأمر بالمعروف بمفاهيمه الدقيقة، كلها من أهم مقومات ووسائل الحفظ والحماية اللازمة للأمة.

أ- الحرية والشورى: فهما يتصدران هذه المقومات؛ "لأن ما يفتح حظ آسيا، وسعد الإسلام، هو الشورى والحرية المشروطتان بتربية الشريعة الغراء".

وبالحرية والشورى تكون السيادة، ويكون الحفظ للأمة وقلعتها، ويتحقق الترابط والتساند الأخوي بين جميع طوائف الإسلام؛ لأن "الحرية الشرعية والشورى

الفكر الإيجابي القومي، ينبغي أن يكون خادمًا للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسورًا منيعًا حوله، لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلاً عنه؛ لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة.

حراء

المشروعة، قد أظهرتا السيادة الحقيقية لأمتنا، إذ إن حجر الأساس في بناء أمتنا وقوام روحها، إنما هو الإسلام. وإن الخلافة العثمانية والجيش التركي، بمثابة الصدَفة والقلعة للأمة، وإن العرب والترك هما الأخوان الحقيقيان، وسيظلان حارسين أمينين لتلك القلعة المنيعة والصدَفة المتينة. وهكذا.. بفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الأمة الإسلامية بعضها ببعض، يصبح المسلمون -كافة- عشيرة واحدة؛ فترتبط طوائف الإسلام برباط الأخوة الإسلامية كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة، ويمد بعضهم بعضًا معنويًّا".

ب- العدل والعدالة: فالعدل لب معنى الحياة، وقاعدة ترشيد الفطرة، ومقوم صيانة الأمة، ولذلك فلا عجب من تأكيد بديع الزمان سعيد النورسي على "العدالة المحضة؛ ذلك الدستور العظيم الذي ينظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة، فهم سواء في نظر العدالة الإلهية، مثلما أنهما سواء في نظر القدرة الإلهية".

جـ- حفظ حقوق الإنسان وكرامته الإنسانية: ونقطة انبعاث هذه الحقوق، وسياج رحابها، حياة الاستقلال المؤدية إلى الاستغناء؛ فإن "النور الإلهي في الشريعة الغراء، يمنحها خاصة مميزة، وهي الاستقلال الذي يؤدي إلى الاستغناء".

ومن حقوق الإنسان الغائية، تحقيق التكامل المعرفي والعلمي؛ "فلقد جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء، لأن كل شيء فيه موجه إلى العلم ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد".

ومع التكامل المعرفي، لا بد من التكامل في التنشئة بالتركيز على البناء الداخلي بالأساس؛ "لأن ميل الجسم إلى التوسع لأجل النمو إن كان داخليًّا فهو دليل تكامل،

hiragate.com

بينما إن كان من الخارج فهو سبب تمزق الغلاف والجلد، أي إنه سبب الهدم والتخريب لا النمو والتوسع".

د- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهذا المقوم الأساس في حفظ الأمة، يتطلب مواصفات واضحة فيمن يقوم به، بحيث يكون القائم عليه مرشدًا حقًّا، و"المرشد الحق هو من كان هدفه وغايته الاتحاد بضياء القلب ونور الفكر، وكان مسلكه المحبة، وشعاره ترك حب الذات والأنانية، وكان مشربه إنكار الذات (المحوية)، وطريقته الحمية الإسلامية".

وتعليل أهمية هذا الأمر وقيمته أن "الشريعة تربي في روح الإسلام الشفقة وعزة الإيمان.. فلقد أخذ القرآن بيده حقائق الشريعة، كل حقيقة منها عصا موسى (في تلك اليد)، وستسجد له تلك المدنية الساحرة سجدة تبجيل وإعجاب".

الخلاصة

أ- "إن المستقبل سيكون للإسلام وللإسلام وحده، وإن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان. لذا فعلينا الرضى بالقدر الإلهي وبما قسمه الله لنا، إذ لنا مستقبل زاهر، وللأجانب ماض مشوش مختلط".

بـ- إن الأمة الإسلامية حقيقة تاريخية اجتماعية متميزة النشأة والمنبت والغاية، وخيريتها مستمدة من خيرية رسولها محمد ﷺ؛ "لأننا قد خصصنا بالإضافة والانتساب إلى خير الرسل ذي الشهرة والمعرفة.. صرنا "خير أمة أخرجت للناس"، والمنسوب إلى الشريف شريف".

جـ- التمايز في الأسس التكوينية للأمة الإسلامية أدى إلى تمايز في الأصول التركيبية والحيوية، على نحو يؤمّن البقاء والإنماء لهذا الكيان الجماعي الذي لا نجاة للعرب ولا للمسلمين ولا خلاص لهم إلا بالحفاظ على بنائه مفهومًا وواقعًا، بعد التحلي بالإرادة، والتزود بالفاعلية، والسعي لتحقيق الشرعية والتحلي بها.

د- تجمعت محاور حركة الأمة حول أصول تكوينية ارتبطت بعقيدة التوحيد والعبادات والشعائر؛ لأننا "معاشر المسلمين خدام القرآن، نتبع البرهان، ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائق الإيمان، ليس كمن ترك التقلد بالبرهان تقليدًا للرهبان كما هو دأب أتباع سائر الأديان".

هـ- التوحيد مصدر طاقة توليد حيوية للأمة على المستوى الداخلي، مما يدعم الكيان الذاتي للجماعة، ويعمل على تماسكه وتميزه بجاذبيته إلى أن "الْتَحَمَ الإسلام وتغلغل في أعماق نصف المعمورة، بأسسه الراسخة وآثاره الباهرة".

و- مفهوم الأمة الإسلامية في كليات رسائل النور، يعمد إلى توسيع دائرة كيانه على المستوى الخارجي؛ لتضييق الفجوة بينه وبين الكيانات الأخرى، حتى تتحقق مثاليته في إدماج كوني تتواصل به الحضارات العالمية الإيمانية التي عنوانها "التنوع في وحدة"؛ "فالإسلام وحده سيكون حاكمًا على قارات المستقبل حكمًا حقيقيًّا ومعنويًّا، وإن الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية، ليس إلا الإسلام، والنصرانية الحقة المنقلبة إلى الإسلام، والمتفقة معه، والتابعة للقرآن بعد تحررها من التحريفات والخرافات".

ز- بقاء الأمة الإسلامية واستمرار مفهومها الشامل بدلالاته المختلفة، يتوقف على عملية تنشئة من نوع خاص، تستطيع أن تنتج كيانًا جماعيًّا متميز الخصائص، رائع السمات، يعزز بعضه بعضًا في تساند وتعاون وانسجام.

وينبغي الحذر كل الحذر من التكاسل عن ذلك، والتقاعس عن القيام بما هو مطلوب؛ فإنّ "تكاسلكم وعدم مبالاتكم، وتقاعسكم عن العمل لتحقيق الاتحاد الإسلامي والوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية، إنما هو ضرر بالغ وظلم فاضح". ■

(*) باحث حضاري وتربوي / مصر.

المراجع

(١) "كليات رسائل النور"، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠١٠.

(٢) "الأمة القطب"، لـ"منى أبو الفضل"، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، القاهرة.

hiragate.com

د. أحمد عبادي*

علومنا الإسلامية
والسياق الكوني المعاصر (١)

منذ اكتمال نزول الوحي والتحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، عكف المسلمون -خلفًا عن سلف- على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ تدبرًا وتفكرًا واستنباطًا واستلهامًا، باعتبارهما مصدرَي التشريع اللذين ينبغي أن تدار أمور الحياة كلها وفقًا لهدايتهما وإرشادهما.

وقد اختلفت علاقة المسلمين بكتابهم وسنة نبيهم تمثلاً وتأسّيًا باختلاف العصور والأجيال، فلم تكن الحاجة قائمة على عهد الصحابة ﷺ إلى تدوين العلوم وضبطها وتقعيدها؛ إذ كان العلم سلوكًا والتزامًا، فلما دعت الحاجة إلى التدوين حين كثر اللحن وتجرأ أناس على النصوص، نهضت همم العلماء لتدوين هذه العلوم، فكانت الكتب والمدونات الأولى المؤسسة في كل علم، ثم تواتر التأليف بعد ذلك شرحًا واختصارًا واستدراكًا واستئنافًا للنظر، غير أنه حريّ بالذكر أن النشاط التأليفي المتصل باستئناف النظر، كان هو الأقل.

ولقد كان مدار كل هذه العلوم في البداية، على النص نشأة وتداولاً، حيث كانت في منطلقها متمثلة له علمًا وعملاً، مما جعلها تنفتح بهدايته على الكون وعلومه، وعلى الإنسان ومعارفه، وتشيّد عالميتها الرائعة الأولى، والتي تجلّت فيها فعلاً أبرز خصائص الوحي، وعكست -بقدر طيب- نوره وإشعاعه في الهداية والرحمة والعدل والحرية والأمن.. كما تجلت فيها أيضًا، كثير من القيم العليا المزكية للإنسان والبانية للعمران.

إن العلـوم الكونية، ما أخذت بُعدها الحقيقي إلا بعـد أن أحدث القرآن نقلـة المقاربة الآياتية وتفكيـك المجملات مـن خلال القـدرة على تسمية الأسـماء، ونقلة عرض العقل البشري باعتباره مكتشـفًا ومسـتنبطًا ومنظّمًا للعلوم وللمعرفة، وليس مولّدًا لهما.

حراء

١- في ضرورة تمثل خصائص عالمنا المعاصر

إن النظر في موضوع "علومنا الإسلامية في ظل المقتضيات المستجدة المستحدثة التي أضحت تؤثث عالم اليوم، تفرض علينا استحضارًا تامًّا لمقتضيات تسعة باتت من خصائص العالم المعاصر، وهي:

المقتضى الأول: ظاهرة "التبلور" و"التجوهر" لكوكبة من اللغات الحية التي أصبحت بمثابة ما يمكن تسميته بـ"المفاعل" اللغوي والتواصلي لعالم اليوم؛ وفي صلبها اللغة العربية، والإنجليزية، والصينية، والفرنسية، والإسبانية. فقد بدأ العالم يخرج من واقع برج "بابل" إلى واقع آخر جديد يتفاهم فيه البعض مع البعض الآخر.

المقتضى الثاني المتمثل في الموجة التطويرية الثالثة التي هي "النانوتكنولوجيا" التي نقلت إدراكنا من الاقتصار على العالم متناهي الكبر، إلى العوالم متناهية الصغر، مما فتح إمكانات هائلة في مجال الفاعلية والتسخير لم يتَبين مداها بعدُ، وكذا القيم الكونية التي بدأت تتشكل، والبعد الحقوقي الموحد، حيث أصبح من الممكن اختراق الجمعيات والخصوصيات بشكل غير مسبوق.

أما المقتضى الثالث فيتمثل في الهم البيئي المشترك، الذي جعلنا -بدافع الاحتباس الحراري والكوارث الطبيعية الأخرى- نعي لأول مرة في تاريخنا البشري وبشكل واقعي، أننا فوق مركبة موحدة يتحتم علينا أن نشتغل بطريقة مشتركة للحفاظ عليها.

أما المقتضى الرابع فيتمثل فيما أفرزته تكنولوجيات الاتصال والإعلام الحديثة التي انبثقت من صلبها جملة من الظواهر؛ كظاهرة "المواقع الاجتماعية" التي نحتت نحوتًا ناتئة في الجوانب الهوياتية، بسبب الإيقاع السريع والفاعلية الكبيرة اللذين فرضا على عالمنا.

وقد عرف عالمنا أيضًا، ظاهرة جديدة تتمثل في القدرة على بلورة مواقف، ورؤى وآراء وأذواق مشتركة، بسرعة كبيرة لم يعهدها العالم من قبل؛ حيث ظهرت موجة جديدة من الآراء المشتركة والتوجهات المتقاسمة، تنتج عن ذلك انبثاق قدرة على نحت تيارات مستوعبة ومستقطبة، كان من تجلياتها ما عرفه عالمنا العربي في السنوات الأخيرة. وهو ما كان يستلزم في السابق سنوات بل عقودًا.

المقتضى الخامس، وفي ظل هذا المقتضى الرابع، انبثق مقتضى خامس، يتمثل في أن البشر يوجد فوق كويكب يمر تيار التأثير والتأثّر بين جنباته بيُسر بالغ، حتى أضحت مشاكلُ الجميع مشاكلَ الجميع.

أما المقتضى السادس فيتصل بالمنظومة الحقوقية وبالحريات، مما أصبح له سريان في الدساتير والقوانين الدولية العامة والخاصة، وأصبح يمثل توجهًا متوافقًا عليه بين البشر، مما وجب استحضاره واستدماجه في كافة أبعاد الكسب الحضاري بمختلف تجلياته.

أما المقتضى السابع فيتجسد في المنظومة القيمية الكونية (Global Ethics)، وهي ظاهرة تواشج القيم مع بعضها البعض في أفق تشكيل منظومة قيمية مشتركة، مما سوف يكون له -بدون شك- أثره البالغ على أضرب التماسك الاجتماعي على الصعيد العالمي.

في حين يتمثل **المقتضى الثامن** في المحاولات الحثيثة الرامية إلى إيجاد نظام اقتصادي وثقافي وسياسي شامل، وهو نظام من شأنه أن يكون كُلّيًا، حيث سوف يكون من الصعب جدًّا أن يتم إسهام أهل حضارة معينة فيه برؤية كلية مستبطنة من مرجعيتهم، دون أن يأخذوا بعين الاعتبار هذه المقتضيات.

المقتضى التاسع وهو ظاهرة انصهار الأنساق المعرفية، والأطر المرجعية، والمركبات المفاهيمية التي باتت تتبلور في شكل مجمعات مفاهيمية تشبه "أحياء المدينة" التي يتحكم وصلها بطرقات ودروب للعلاقات العضوية بين هذه المركّبات، ومن هنا انبثقت مرحلة "القبة

hiragate.com

المفاهيمية والمرجعية لـ "Christen Dom" و"Islam Dom" و"Budhist Dom"، أي تلك القباب المفاهيمية والمرجعية الشاخصة في عالمنا الجديد، والتي بتأثيرها وتوجيهها يتم التعاطي بين مختلف الحضارات في عالمنا.

٢- انفكاك العلوم الإسلامية من النص المؤسس

حين تنفك العلوم الكونية من مصدرها الكون، يكون اندحارها. هل تتصور علم البيولوجيا (La Biologie) بدون الرجوع إلى الكون وإلى الكائنات الموجودة فيه؟! هل تتصور علم البوتانيكا (La Botanique) في انفكاك عن النباتات وعن الكائنات التي هي موضوع هذه العلوم؟!

هل تتصور علم فيزياء (La Physique) دون الرجوع إلى الكون؟! وللتذكير فإن هذه العلوم الكونية، ما أخذت بُعدها الحقيقي إلا بعد أن أحدث القرآن نقلة المقاربة الآياتية وتفكيك المجملات من خلال القدرة على تسمية الأسماء، ونقلة عرض العقل البشري باعتباره مكتشفًا ومستنبطًا ومنظّمًا للعلوم وللمعرفة، وليس مولّدًا لهما من خلال قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾(العنكبوت:١٩)، وقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾(الإسراء:١٢)، وغيرها من الآيات التي تحض الإنسان على السير في الأرض، والنظر إلى المعطيات لصياغة العلوم، واكتساب المهارات والخبرات.

وحين حدثت هذه النقلة، ظهرت قضية الجبر والمُقابلة في الرياضيات، أي التسديد والتقريب، واكتشف الصفر كما اكتشفت اللوغاريتمات وغير ذلك مما لا يتسع المقام للإفاضة فيه، كل ذلك من خلال الارتباط بالكون الذي هو موضوع هذه المعارف والعلوم والردّ إليه، انطلاقًا من هذه النقلة التي أحدثها القرآن المجيد.

تصوّر معي، لو أن هذه العلوم انفكت عن الكون، ماذا كانت سوف تكون النتيجة؟!

الأمرُ لا شك بالخطورة نفسها حين يكون انفكاك العلوم الإسلامية عن الوحي، حين انفصل علم أصول الفقه عن الوحي من خلال توقّف الحوار مع الآيات ومع الأحاديث، كان من الآثار المباشرة لذلك،

حين يكون انفكاك العلوم، من المعطيات والآيات التي في الوحي، فإنها تصبح علومًا نظرية مبنية على التفريعات والتخريجات المهَوِّمة في التنظير.. وجب أن تكون هذه العلومُ إذن، متصلةً بمصدرها الذي هو الوحي، كما أن العلوم الكونية متصلةٌ بمصدرها الذي هو الكون، وإلا فالسلبية والانحسار.

الانحسار فيما سبق من الاستنباطات باعتبارها مصدر هذا العلم، فأصبح اشتغال من تلا من العلماء منحبسًا في جهود من سبقهم شرحًا وتحشية وتذييلاً، عوض أن يكون هذا الاشتغال منصبًّا على الحوار مع النص المؤسس، استفهامًا واستلهامًا واستكشافًا واستنباطًا.

وحين انفصلت علوم التفسير عن الآيات المفسّرة وانحسرت في التفسيرات التي سبقت، دون تفكير في تطوير مناهج استنطاق الوحي والحوار معه، انطلاقًا من تمظهرات واقع الإنسان المختلفة التي تبرز معها حاجات متجددة، وتستدعي حلولاً مستأنفة من القرآن المجيد، حصل نوع من الجمود في علوم التفسير، وأصبح سقفها محددًا بسقف المجامع التفسيرية التي ألفها العلماء الأماجد السابقون الذين أدّوا الذي عليهم، وكان على الذين من بعدهم أيضًا تأدية الذي عليهم بدورهم.

وكذا الشأن في سائر العلوم الإسلامية، حيث آثار هذا الانفصال بارزة في المناهج والنتائج. فحين يكون انفكاك هذه العلوم، من المعطيات والآيات التي في الوحي، فإنها تصبح علومًا نظرية مبنية على التفريعات والتخريجات المهَوِّمة في التنظير. وجب أن تكون هذه العلومُ إذن، متصلةً بمصدرها الذي هو الوحي، كما أن العلوم الكونية متصلةٌ بمصدرها الذي هو الكون، وإلا فالسلبية والانحسار.

ومن هنا فإن ثلاث مشاكل رئيسة تعترضهم اليوم:

المشكلة الأولى: هي كيف يُفقه النص، وما هي آليات وضوابط فقه دينامي متجدد ووظيفي للنص؟ وكيف يمكن التمييز بين الثابت في اجتهادات السابقين وبين

hiragate.com

ما هو قابل للتحول والتغير؟ وقد سبق أن قال ابن القيم في كتابه "إعلام الموقعين"، فصل في تغير الفتيا بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعادات والأعراف، قال: وهو فصل عظيم النفع جدًّا قد دخل على الناس من فرط الجهل به ضررٌ عظيم. فما هي آليات وضوابط التمييز بين الجوانب الثابتة والجوانب القابلة للتجدد في الفقه الإسلامي؟ وكيف يمكن لفقيه الشريعة الإسلامية أن يطور آليات ومنهجيات التعامل مع هذه الجوانب كلها بنفس مقاصدي يروم جلب المصالح ودرء المفاسد باتزان؟

المشكلة الثانية: هي كيف يُفقه الواقع بكل سماته وبكل تمظهراته بالغة التعقيد والتركيب والتشابك، دون أن يكون هناك جور على أي سمة من السمات، احتذاء بقول من قال: ينبغي أن نجعل كل شيء، أبسط ما يمكن وليس أبسط مما يمكن، وبأية مناهج وبأية آليات؟ وما هي التكوينات التي يقتضيها كل ذلك؟

المشكلة الثالثة في كيفية تنزيل أحكام النص المطلق المتجاوز المهيمن، بطريقة متوازنة على هذا الواقع المتقلب المتغير العيني المشخص؛ موازنة بين الأفعال، وترجيحًا بين المصالح والمفاسد في ضوء وعي شديد بوجوب اعتبار المآلات والعواقب، حتى لا تُجلب مفسدة عوض المصلحة التي كانت مقصودة، أو تُفوَّت مصلحة أكبر من أجل مصلحة أدنى.

وهو ما يستنبط من قول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه إمامنا مالك من طريق عائشة ﵂، والذي فيه أن رسول الله ﷺ قال: "لولا حَدَثَانُ قَوْمِكِ بالكفر لَهدمْتُ الكعبةَ، ولَصيَّرْتُها على قواعد إبراهيم"[1]. ففوت عليه الصلاة والسلام هذه المصلحة (إعادة إقامة الكعبة على قواعد إبراهيم) حتى لا يجلب مفسدة هي أرجح من هذه المصلحة (أي افتتان الناس)، لأنهم لا يزالون مرتبطين بعالم الأشياء على حد تعبير مالك بن نبي.

غير أن التعامل مع هذه المشاكل الثلاث في أفق حلها، لا بد له من مقتضيين منهاجيين:

المقتضى الأول: هو المنطلقات التي ينطلق منها الفقيه المسلم؛ أي الباراديغمات (Paradigmes) والنماذج المعرفية. فينبغي أن يكون من الواضح، أن الفقيه المسلم يريد تحقيق مرضاة الله، وتحصيل السعادتين العاجلة والآجلة للجنس البشري، ويريد إشاعة التكامل بين أفراد المجموعة البشرية، ويريد إشاعة التكامل بين أفراد المجموعة البشرية؛ هذه الأسرة الإنسانية الممتدة، لأنه قد سادت في أزمنة معينة نماذج أخرى، فيها من الانسحاق أو الانغلاق ما فيها.

وإن من الباراديغمات والنماذج المعرفية التي يحق للمسلمين أن يفخروا بها؛ النموذج التعارفي المنطلق من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات:١٣)، وهو نموذج يسعى بوازعه الإنسان المسلم -ذكرًا كان أو أنثى- إلى تحقيق التعاون والتكامل بين أفراد الأسرة الإنسانية الممتدة. إنه نموذج يتجاوز النموذج المعرفي القائم على مجرد التسامح. فالتسامح يستدمج بين طياته، أن هذا الآخر في درجة أدنى ولكن أنا أتسامح معه، أو أخطأ وأنا أتسامح معه. بيد أن التعارف، فيه الحاجة المتبادلة والاحتياج المتبادل؛ مما يفسح المجال أمام التكميل والإثراء المتبادلين بين العالمين، عوض التنافي والصراع.

المقتضى المنهاجي الثاني: هو تحديد آليات التعاطي مع هذه المشاكل الثلاث، وتبين العلاقة الجدلية بين النماذج المعرفية التي تُشكل المنطلقات وبين الآليات المستعملة، من أجل تحقيق الغايات المستهدفة أو الأهداف المتغياة.

فالآليات، رغم ما قد يتبادر إلى الذهن من أنها محايدة، ليست كذلك، فلا يجوز الوقوف فقط مع شرط الفعالية في الآليات، وإنما وجب أيضًا، أن يتم التأكد من تماديها وتناغمها مع المنطلقات ومع النماذج المعرفية التي تشكل المنطلقات والمبادئ والقيم التي تحملها حضارة معينة ودين معين. ■

(*) الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء / المغرب.

الهوامش

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب ما جاء في بناء الكعبة، حديث رقم:١٠٤.

hiragate.com

د. حذيفة أحمد الخراط*

علم الصيدلة في الحضارة الإسلامية

يقول المستشرق "فرانس روزنتال" (Franz Rosenthal) في حديثه عن حضارة الإسلام: "إنّ ترعرع هذه الحضارة هو موضوع مثير، ومِن أكثر الموضوعات استحقاقًا للتأمل والدراسة في التاريخ. ذلك أن السرعة المذهلة التي تم بها تكوّن هذه الحضارة أمرٌ يستحق التأمل العميق، وهي ظاهرة عجيبة جدًّا في تاريخ نشوء الحضارة وتطورها، وهي تثير دومًا وأبدًا أعظم أنواع الإعجاب في نفوس الدارسين. ويمكن تسميتها بالحضارة المعجزة، لأنها تأسست، وتشكلت، وأخذت صورتها النهائية بشكل سريع جدًّا ووقت قصير جدًّا، ويمكن القول إنها اكتملت وبلغت ذروتها حتى قبل أن تبدأ".

لقد زخرت نصوص الآيات والآثار بكثيرٍ من الومضات العلمية التي دعت إلى سمو الإنسان نحو آفاق المعرفة الرحبة التي لا حدود لها، وإلى التدبر والتبصّر وإثارة الذهن وصولاً نحو عِلَل الأشياء، وإلى تطبيق منهجٍ علمي فريد هدفه إقامة حياة متميزة مبنية على أسس سليمة.

ازدهار علم الطب

لم يَقف المسلمون عند حدود الطبّ النبوي وما جاء فيه من وسائل علاجية ووقائية -مع يقينهم بنَفْعه وبَرَكته- بل أدركوا منذ وقت باكر أن علم الطب والصيدلة يحتاج إلى دوام البحث والنظر، وإلى الوقوف على ما عند الأمم الأخرى منه.. ودفَعهم إلى ذلك دعوةُ الإسلام للاستزادة من كل ما هو نافع ومفيد، والبحث

عن الحكمة أنى وُجدتْ. واشتهرتْ طائفة من علماء المسلمين بترجمة الكتب المتخصصة بعلوم الطب، ومصادر الأدوية النباتية وخصائصها وطرق تركيبها. ومما تمّت ترجمته كتب "أرسطو" (Aristotle) وتلميذه "ثيوفراستس" (Theophrastus) المعروف بأبي علم النبات.

وأعقب ذلك مرحلة جديدة تناولت التعليقَ على تلك الكتابات المترجمة، ونقْدها وشرحها ودراستها، ليتم بعدها في خطوة تالية إقرار صوابها وتصويب خطئها. وما هي إلا مدة وجيزة، حتى انتقل المسلمون نحو أفقٍ آخر سام من الازدهار العلمي والفكري، وولّوا وجوههم شطر الأصالة والتأليف والإبداع، فأضافوا الجديد والمفيد إلى علمَي الطب والصيدلة، تَدْفعهم حماستهم التي استشعروا بها التقربَ إلى الله تعالى بطلب العلم، وقد عُرفتْ كتبهم تلك في حينها بـ"الأقرباذِينات".

وكان أبو حنيفة الدينوري أول مَن ألّف كتابًا عن النباتات التي أولاها المسلمون عناية خاصة لما علموا أنها مصدر رئيس لحاجتهم من الأدوية. وعُرف مصنَّف الدينوري هذا باسم "كتاب النبات"، وقد أتى فيه على ذِكْر أكثر من ألف نبتة من النباتات الطبية في الجزيرة العربية. واشتهر أبو بكر الرازي بالكتابة في علم الصيدلة ووصْف الأدوية، وألّف الكثير من الأقرباذينيات التي عُدَّتْ مراجع أصيلة في مدارس الغرب والشرق على حد سواء. ومن أطباء المسلمين وصيادلتهم أيضًا البيروني صاحب كتاب "الصيدلة في الطب"، وابن الصّوري صاحب "الأدوية المفردة"، وابن العوّام الإشبيلي صاحب "الفِلاحة الأندلسية". أمّا ابن البيطار فقد ارتحل إلى مالَقة، ومرّاكش، ومصر، وسورية، وآسيا الصغرى، بحثًا عن النباتات الطبية.. فكان يراها بنفسه، ويجري عليها تجاربه، ويَذْكرها في كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" الذي كان المرجع الرئيس للصيادلة زمنًا طويلاً. وقد جاء فيه ذِكْر أكثر من ألف وأربع مائة دواء من أصل نباتي، منها أربع مائة عقار لم يَسْبقه أحدٌ إلى وَصْفها.

الأطباء الصيادلة

أبدع أطباء المسلمين وصيادلتهم في تحضير العقاقير المختلفة وتركيبها، واستخدموا في ذلك طرقًا مبتكرة عديدة، منها طريقة التقطير لفَصْل السوائل، وطريقة التنقية لإزالة الشوائب، وطريقة التصعيد لتكثيف المواد المتصاعدة، وطريقة الترشيح لعَزْل الشوائب والحصول على محلول نقي.

وكان من ابتكارات صيادلة المسلمين مَزْجُهم للأدوية بالعسل أو بالسكر أو بعصير الفاكهة، وإضافة مواد محبّبة كالقرنفل، ليصبح طعم الدواء مستساغًا، وجعْلهم الكثير من الأدوية في صورة أقراص مُغَلّفة، وتحضير أقراص الدواء عبر كبْسها في قوالب خاصة، وإخضاع الدواء الجديد للتجربة على الحيوان قبل وصْفه للمريض للتأكد من سلامته وأمانه.

يقول الدكتور "جورج سارتون" (George Sarton): "إن بعض الغربيين الذين يَستخفّون بما أسداه الشرق إلى العمران، يصرّحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلومَ القديمة ولم يضيفوا إليها شيئًا، وهذا الرأي خطأ؛ فلو لم تنتقل إلينا كنوزُ الحكمة اليونانية، ولولا إضافات العرب الهامة إليها، لتوقّف سَيْر المدنية بضعة قرون".

كما اهتم صيادلة المسلمين بزراعة النباتات الطبية، والأعشاب العلاجية في مزارع وُضعتْ بجوار ما بَنَوا من بيمارستانات مُدُن الدولة المختلفة، واهتموا بجلب بذور تلك النباتات من كل حدب وصوب. وخُصّصتْ لكل بيمارستان منها صيدلية تُقدّم ما يصفه الطبيب للمريض من أشربة وأدوية. يقول عبد الله الدفّاع في كتابه "أعلام العرب والمسلمين في الطب": "وَضَع العلماء المسلمون في كل مستشفى صيدلية منذ القرن الثاني عشر الميلادي. وهكذا فإن فكرة إنشاء صيدلية داخل المستشفى، هي فكرة نقَلها العالَم عن الحضارة العربية الإسلامية التي طبّقتها قبل أكثر من ثمانية قرون".

الصيدليات وعلم الصحة

وفُرض على كل صيدليات الدولة الإسلامية أن تحوي كتبَ الأقرباذين، وأن يتوافر فيها أنواع العقاقير المفردة والمركّبة المختلفة، والمواد الخام اللازمة لتحضيرها، سواء كانت نباتية المنشأ أو حيوانية أو معدنية أو كيماوية.. كما وَجَب أن تحوي الصيدلية ما يلزمها من

hiragate.com

معدّات لتحضير الدواء، كالموازين الحساسة، والأوعية ذات المقاسات المختلفة، وقوالب صناعة الأقراص، بالإضافة إلى سجلات خاصة لتدوين عمليات تحضير الدواء وما يَرِدُ من وصفات الأطباء الدوائية.

وقد ضمّت البيمارستانات أيضًا مكتبات طبية حَوَت أمهات كتب الصيدلة ومراجعها. وكان أساتذة هذا العلم يتناقشون مع طلابهم حول الداء وما يناسبه من الدواء في حلقات تسودها الأجواء العلمية. وأُلزم الطلبة بحضور جلسات تركيب الدواء، مما أكسبهم ثقة علمية وخبرة عملية. وأصبح علم الصيدلة -بذلك- علمًا تجريبيًّا قائمًا على المتابعة الدقيقة والملاحظة.

تقول المستشرقة "زيغريد هونكه" (Sigrid Hunke): "أين هي الدولة التي عَرفتْ مثل هذا الجمع الكبير من الأخصائيين بشتى حقول الصحة، وتركيب الأدوية والعقاقير كما كانت الحال عند العرب؟ وهل كان للمستشفيات الحديثة في الأصقاع العربية آنذاك مثيل في أي طرف من أطراف الأرض؟ إن وسائل العلاج عند العرب تتحدث ببلاغة عن عظمة أبحاثهم، كما أن علم الصحة عندهم لأروع مَثَل يُضرب. ولِمَ العجب والدهشة والوضع كان كما نعلم؟".

نظام الحُسْبة

ومِن مآثر علماء المسلمين في مجال الصيدلة أيضًا ما أدخلوه من نظام الحُسْبة، ومراقبة الأدوية، فنقلوا بذلك المهنةَ من تجارة حرّة لا ضوابط لها، إلى مهنة خاضعة لرقابة الدولة. وكان من مهام المحتسِب إجراء جولات تفتيشٍ على حوانيت بيع الأدوية، والتأكد من توافر الدواء فيها، ومتابعة طريقة تحضيره بشكل آمن وبدون غش، والتأكد من أن الدواء لا يباع إلا وفق وصفة طبية، ومراجعة كشوفات تحضير الأدوية. بالإضافة إلى منح تصاريح العمل للصيادلة، وإيقاف عمل من تدعو الحاجة والمصلحة إلى ذلك. وقد كان للمحتسب سجلات يُدوّن فيها أسماء أصحاب الحرف والمهن المختلفة بما فيها أماكن حوانيت الصيادلة.

وكان على المحتسب أيضًا، أن يُحَلّف الصيادلة ألاّ يعطوا أحدًا دواء مضرًّا، وألاّ يُركّبوا له سُمًّا، وألاّ يَصِفُوا التمائمَ لأحدٍ من العامة، وألاّ يذكروا للنساء الدواءَ الذي يُسْقط الأجنة، ولا للرجال الدواءَ الذي يَقْطع النسل. وأضيف إلى مهام المحتسب أن يخوّف الصيادلة، ويعظهم، وينذرهم بالعقوبة والتعزير، وأن يراجع عقاقيرهم في كل أسبوع. ويُرسل المحتسبُ رقيبًا على الصيادلة خبيرًا بالعقاقير وطرق تركيبها ووسائل غشّها؛ كي يكشف المغشوشَ منها فيُتْلِفه.

عميد الصيادلة

كما قامت الدولة الإسلامية بتوظيف "عميد الصيادلة"، وقد وُسّد إليه مهام الإشراف الفني على صيدليات المدينة، وإجراء امتحانٍ للصيادلة ومنحهم الشهادات، وتصريح العمل بممارسة صنعة الصيدلة، بالإضافة إلى إعداد سجلات خاصة للصيادلة. وقد عُدّ عميد الصيدلة هذا، المرجعَ الأعلى فيما يستجد في ساحة العمل من الأمور المتعلقة بهذه المهنة. وأُلزم الأطباءُ لاحقًا، بكتابة ما يصفون من أدوية لمرضاهم على ورقة خاصة، عُرفتْ في الشام باسم "الدستور"، وفي العراق باسم "الوصْفة"، وفي المغرب باسم "النسخة"، وكان ذلك من إسهامات المسلمين في إنشاء علم الصيدلة على أسس علمية سليمة.

وسَنّ الأطباء والصيادلة المسلمون قواعدَ صارمة في عملية وصف الدواء، ومن ذلك ألاّ يوصَف أيّ دواء قبل إقرار التشخيص المؤكَّد للمرض، والتأني في ذلك إذا كان في مقدور المريض تجاوز مرضه دون دواء. وكان على الصيدلي أيضًا إيضاحُ جرعة الدواء لمتناوِله، وطريقة استخدامه، ومواعيد تعاطيه، وما قد يَظهر له من تأثيرات غير مرغوبة في جسمه.

كما كان لزامًا على الصيدلي مراعاة تركيب الدواء، بالتأكد من جودة المادة الخام قبل الشروع في ذلك، والالتزام بالمقادير المحددة بدقة عالية، والعناية بحفظ مواد صناعة الدواء، ووسائل تخزينها لكيلا تفسد، وتدوين جميع ما يوصف للمريض من أدوية في سجله، والتيقن من تناول المريض ما وُصف له تحديدًا ليَسْلم من حلول الخطأ. ■

(*) أخصائي جراحة التجميل بالمدينة المنورة / المملكة العربية السعودية.

hiragate.com

د. عبد الحميد عشاق*

في تجديد الخطاب الدعوي (٣)

في المنهج الدعوي من حيث أخلاق الفكر وأخلاق الفعل

مَن طلب هذا الأمر فقد طلب أعلى أمور الدين، فيجب أن يكون من خير الناس اعتقادًا وديانة وفهمًا وسلوكًا ومعاملة.. وإذا كان التحلّي بهذه الخيرية وهذه الاستقامة واجبًا على آحاد المسلمين، فما بالك بالداعية الذي يحمل لواء الدعوة وينادي بها في الناس؟ إن الأنظار إليه أسرع، والزلة منه أوقع، والنقد عليه أشد. وهو ما يقتضي من الداعية أن يراقب سلوكه وتصرفاته في المجتمع، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾(هود:٨٨)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾(الصف:١-٢).

وأول ما يجب على الداعية، أن يأخذ به من خصال هذه الخيرية وشيمها:

١- تحقيق الإخلاص والصدق، والحذر من أن يتخذ هذا المنصب وُصلةً إلى حظوظه النفسية أو الدنيوية. وما أبلغ لسان الداعية إذا كان صدقُ التوجّه إلى الله تعالى شعارَه ودثارَه ومنهجَه وديدَنه. نقل عن بعض السلف أنه كان إذا وعَظ أبكى الناس حتى تختلط الأصوات ويعلو النحيب، وقد يتكلم في المجلس مَن هو أغزر علمًا منه وأبلغ عبارة فلا يحرك ساكنًا، فسأله ابنه يومًا عن سر هذا فقال: "يا بني، لا تستوي النائحة الثكلى والنائحة المستأجرة"[١].

فإذن، الخصلة الأولى لنجاح الداعية هي صدقه مع ربه ﷻ، وصدقه في سريرته وسيرته، وصدقه في فعله قبل مقاله، وصدقه في الإيمان برسالته والقيام بها. وهذا الصّدق هو العاصم من مختلف القواصم الظاهرة والباطنة التي تحتفّ بطريق الدعوة الشائك؛ كالرياء، والشهرة، وحبّ الظهور، والزعامة، واسترضاء الجماهير والخضوع لأهوائها ومشتهياتها إلى الحد الذي قد ينقلب فيه الخطيب من داعية لله تعالى إلى داعية للجمهور، أو من داعية لله إلى داعية لطائفته وجماعته، أو من داعية لله إلى داعية لنفسه.. وهذا ما يشير إليه بعض العارفين بقولهم: "آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حبّ الرئاسة"[٢]، وقول الإمام أحمد: " أن تكون له نيّة، فمن لم تكن له نيّة، لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور"[٣].

٢- التركيز على القواعد الكلية والأصول الجامعة:

من أعظم التحديات التي يلاقيها المشروع الدعوي الإسلامي في هذه المرحلة العصيبة التي يجتازها، مواجهة علل الاختلاف والتفرق والتنازع التي أحكم الانحطاط والاستعمار غراسها في جسم الأمة، حيث صارت هذه العلل خاصة تجري فيه مجرى الدم.. فنحن كثيرًا ما نغفل عن الأصول الجامعة والقواطع الجليّة المحكمة، وننشغل بالفروع الخلافية الجزئية، ونتجادل حولها أو نحاول إنتاج فروع في بلد معين وفرضها وتعميمها على أرض الله الواسعة؛ مع أن ثقافات الناس تختلف، وظروف المجتمعات وعوائدها تختلف.. وتبعا لذلك، فإن مصلحة الدعوة تختلف من بلد لآخر. فالأصل أن البرنامج الدعوي مشروع جامع توحيدي، يجمع شعوب الأمة وقبائلها وجماعاتها ومكوّناتها المتنوعة على كلمة سواء، ومقتضى هذا الأصل أن يلتزم الخطاب الدعوي في جميع الأحوال بنبذ "الطائفية"، وترسيخ معاني الجامعة وتوثيق أواصر الوحدة والتعاون والتكامل على مختلف الأصعدة، خصوصًا أواصر "الوحدة الثقافية"؛ فما زال الواقع -للأسف- كالحًا شاحبًا، تتوالى عليه معاول التفتيت والتجزيء والتعصب المذهبي، وعوامل التفريق والتقسيم و"الفئوية" الضيّقة.. وما زال الحديث متواصلاً

لا بد أن تسلك مقاصد الدعوة سبيلاً متوازنًا بين المأمول والممكن، والمبدأ والواقع، وأن تصاغ بناء على فقه الموازنات، وترتيب الأولويات، ومراعاة المآلات القريبة والبعيدة، وضبط النّسب، مع تخليصها من "قسرية" التقرير إلى إيجابية الفهم والتقويم.

حراء

عن محنة "الجامعة الإسلامية"، وانقسام الوعي المحلي حول قضايا المرجعية والهوية وأطروحات البدائل.. إن على الدعوة أن تواجه رواسب قرون من الشتات والتشرذم الثقافي والتعصب المذهبي والطائفي بين أبناء "الأمة الواحدة"، وإن إحياء وتجديد رصيد هذه "الوحدة الثقافية" واستثمارها، هو الكفيل بتوسيع وتعميق دوائر الوحدة الكبرى المنشودة.

٣- احترام عقول المخاطبين؛ ومعناه أن يحترز الداعية أو الخطيب، من الخضوع لمنطق الشارع، والتورّط في -أي شكل من أشكال- الإسفاف والسطحية والابتذال في الخطاب، لأن ذلك يحطّ من قدره وقدر ما يدعو إليه. فكلما استطاع الداعية أن يجتنب المقولات السطحية والألفاظ النابية والمعاني المبتذلة التي تمجّها الأسماع ولا تستسيغها الطباع، كان خيرًا له وأهدى سبيلاً. كما أن عليه أن يخضع دعوته لقواعد اللياقة وآداب الحديث، فلا يخاطب الناس بما يكرهون، ولا يسمّي الأشخاص، ولا يتقصّد نقد المخاطبين، ولا يبالغ في تبكيتهم وتحميلهم المسؤولية، ومواجهتهم بالأوزار والمثالب، ورمي الزمان بالنقائص والمعائب.. فهذا كله مما تكرهه النفوس وتنفر منه. وإنما ينبغي للداعية أن يكون مفتاحًا للخير، مجتهدًا في ملامسَة الأفكار الملهِمة، والتبشير بالآمال الواعدة والحلول الممكنة. وقوامُ النصح والإصلاح على الدوام، أن تخاطب الأمة -في كل شؤونها- بالمعروف وببيان تام، حتى تستطيع أن تفهم الذين يصارحونها بالحقائق أكثر مما تفهم غيرهم.

٤- البصيرة الفقهية، وذلك بأن يكون واعيًا لما يعظ به أو يدعو إليه من كتاب أو سنة، فقيهًا في أحكامهما،

hiragate.com

إن على الدعوة أن تواجه رواسب قرون من الشتات والتشرذم الثقافي والتعصب المذهبي والطائفي بين أبناء "الأمة الواحدة"، وإن إحياء وتجديد رصيد هذه "الوحدة الثقافية" واستثمارها، هو الكفيل بتوسيع وتعميق دوائر الوحدة الكبرى المنشودة.

مستوعبًا لمقاصدهما. وهذا يستوجب -من جهة- أن يكون الداعية ربّانًا في علوم الشريعة، وعلوم القرآن والحديث، وعلم الفقه وأصوله، وعلوم اللغة.. فمن لم يكن ربّانًا في هذه العلوم -وهي آلات العلم وموارد التفقه- تكلّم في الدعوة بلسان قصير، وأفسد من حيث أراد أن يصلح.

ومن جهة أخرى، أن يكون عارفًا بواجب الوقت، ناظرًا في تعيين المحل الذي يليق بما يدعو إليه؛ وهذا دستور الفقه وملاك الاجتهاد بتحقيق المناط، وهو ثلاثة أرباع النظر الفقهي كما يقول الشيخ أبو حامد الغزالي. وفي هذا تفاوت أهل الفقه والدعوة، إذ المزية كلّها في قوة التفطن لانطباق الكليات والقواعد على صور الحوادث. ومعلوم كذلك أن معرفة الأحوال الواقعة، ومراعاة العوائد والأوضاع الغالبة والمستقرة في الواقع الاجتماعي، ومعرفة حيل الناس وطباعهم وهمومهم واتجاهاتهم الثقافية، أصل عظيم من أصول الاجتهاد والتشريع المشهور بمراعاة العرف. ومن قواعده المأثورة: "المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا"، وقولهم: "العادة محكمة"[٤].

ومن ثمرات الفقه الواعي الحكيم في هذا الباب، أن ينظر إلى مآلات ما يدعو إليه بالنسبة إلى حال الزمان وأهله. وهذا فن دقيق في التعليم والدعوة ضلّت فيه أفهام، وزلّت فيه أقدام. وإليه يشير قول الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، وقال علي ﷺ: "حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله". وأخرج مسلم عن ابن مسعود ﷺ: "ما أنت بمحدّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة". ويؤكد ابن القيم هذا فيقول: "ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم، فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طب الناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب واحد من كتب الطب على أبدانهم"[٥]. وعبّر عنه الشاطبي في الموافقات بأسلوبه التقريري، ومنهجه التقعيدي الكلي قائلاً: "ليس كل ما يُعلم مما هو حقٌّ يُطلب نشره وإن كان من علم الشريعة، ومما يفيد علمًا بالأحكام، بل ذلك ينقسم منه ما هو مطلوب النشر وهو غالب علم الشريعة، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص. وقد أخبر مالك عن نفسه أنه عنده أحاديث وعلمًا ما تكلم بها ولا حدّث بها"[٦].

٥- التزام اليسر؛ أن يلتزم مسلكَ التيسير والسّماحة في دعوته. والسماحة أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها، ووصف الإسلام بالسماحة معلوم من الدين بالضرورة، وثابت بأدلة الكتاب والسنة، حتى عبّر عن ذلك الإمام مالك بقوله: "ودين الله يسر"[٧]، وإن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع، وهو في الدعوة والتبليغ ألزم وأوجب.

والسماحة هي سهولة المعاملة في اعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل، وحكمة امتداحها والتنويه بها راجع إلى أن الشريعة بنيت على وصف عظيم وأصل كبير وهو الفطرة، ومن الفطرة النفور من الشدة والإعنات والفظاظة، ولأن في فطرة الناس حبّ الرفق، والميلَ إلى الملاطفة واللّين، ولأن اللين يُعين على التذكُّر، ويحمل على الخَشْية كما قال جلّ وعلا: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۞ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(طه:٤٢-٤٤)، وقال في حق نبينا ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾(آل عمران:١٥٩)، وقال سفيان الثوري: "إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد"[٨].

hiragate.com

خاتمة

إن طرفًا مهمًّا من التحوّلات المستقبلية للمجتمعات المسلمة المعاصرة، متعلّق بتجديد مؤسّسة الدعوة؛ بتجديد أفكارها وتطوير برامجها وخططها ووسائلها وأهدافها، وبمدى ما تحققه من تأصيل لقيمها وأولوياتها على أساس المقاصد الكلّية للوحي، وإدراك المفاهيم والمسلّمات الثقافية الجديدة التي يحتويها الواقع، حتى تضطلع بمهمتها الأصلية: الدلالة على الحقّ، وإقامة الحجّة على الناس، وتعديل اتجاهات القيم والسلوك، وحفظ نظام المجتمع.

وعليه، لا بد أن تسلك مقاصد الدعوة سبيلاً متوازنًا بين المأمول والممكن، والمبدأ والواقع، وأن تصاغ بناء على فقه الموازنات، وترتيب الأولويات، ومراعاة المآلات القريبة والبعيدة، وضبط النّسب، مع تخليصها من "قسرية" التقرير إلى إيجابية الفهم والتقويم.

وأحسب أن الاتجاهات التي على المشروع الدعوي الإسلامي أن يرسيها في منطلقاته وبرامجه وأدبياته ما يلي:

أ- تقديم المشروع الدعوي باعتباره مبادرة إنقاذ وترشيد لمواجهة الأزمة الفكرية والأخلاقية التي تتشخّص في مظاهر الخلف بين القول والفعل، أو بين المبدأ والواقع، أو بين الظاهر والباطن، أو بين الشعار وحقيقة الحال، مما يجعل بعض أطراف الأمة في خصومة مع ذاتها ومع العصر، أو في حالة فقدان التوازن والانسجام بين ضميرها الديني والأخلاقي، وبين الواقع التاريخي المتغير.

بـ- إعادة الاعتبار لدور الرسالة الدعوية في بناء المفاهيم وتصحيحها، وبرمجة الأولويات، وترسيخ قيم إيجابية جديدة في التصورات والاتجاهات والسلوكيات المتعلقة بالوعي الجمعي، وذلك بالتركيز على تعديل نظرة الوعي للأشياء وعلاقته بها، والانتقال من الاهتمام بالفرد إلى تغيير الأطر والقيم والمعطيات والنماذج المستقرة في جَذر النظام الثقافي والمجتمعي.

جـ- التأكيد على أصول المشترك الإنساني ومعاني الجامعة الإسلامية، والتركيز على قيم السّلم والحوار وتدبير الاختلاف والعيش المشترك في مضامين الخطاب الدعوي وقيمه ومقاصده، فذلك -برأينا- قوام ضروري لإعادة بناء الإنسان في المجال الإسلامي اليوم، وتحقيق التجديد النوعي المأمول في التجربة التاريخية المعاصرة.

د- ختامًا، لا بد من التوصية بالاهتمام بمؤسّسات ومناهج تكوين الداعية، من خلال بناء معاهد علمية تعنى بالتأصيل والتوصيل والتكييف للقضايا والمفاهيم، استنادًا إلى حقائق الحياة الاجتماعية الجديدة التي تستمد روحها من الرؤى الفلسفية والعلوم السياسية وعلوم الإدارة والاقتصاد والحقوق، ومن معرفة القيم السياسية والإنسانية المعاصرة، واستنادًا إلى الرؤية الثقافية الكونية التي تتناسب مع المقاصد العامة للرسالة الخاتمة، وتعنى بتطوير وسائل التوصيل وأساليب الخطاب والوعظ، ومهارات التحدث وفنون الإلقاء، والاستفادة من تكنولوجيا المعلومات ومواقع وتقنيات التواصل الاجتماعي المعاصرة. وبالله تعالى التوفيق. ■

(*) عضو المجلس الأكاديمي للرابطة المحمدية للعلماء / المغرب.

الهوامش

(١) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، د.ت. ١٨٧/٤، ط. دار المعرفة، بيروت.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البِقاعي، د.ت. ٢٨٢/٤، ط. دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

(٣) طبقات الحنابلة، لأبي الحسين بن أبي يعلى، د.ت. ٥٥/٢، ط. دار المعرفة، بيروت.

(٤) الأشباه والنظائر، لجلال الدين السيوطي، ١٤٨/١، ط. مكتبة الباز، ط٢، سنة ١٤١٨هـ/١٩٧٨م.

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، ٤٧٠/٤، ط. ابن الجوزي، ط١، رجب ١٤٢٣هـ.

(٦) الموافقات، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ١٦٧/٥، و١٧١/٥، ط. دار ابن عفان، ط١، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٧) ترتيب المدارك، للقاضي عياض، ١٠٥/٣، تحقيق جماعة من المحققين، ط. فضالة، المحمدية، المغرب.

(٨) المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ٤٦/١، مع تكملة السبكي والمطيعي، ط. دار الفكر.

hiragate.com

د. عبد الله دمير*

حقوق الطفل بين العناية والإهمال

إذا تصفّحنا المصادر التي تتناول عصور التاريخ القديم وقمنا بالاطلاع على نمط الحياة لدى مجتمعاتها، سنرى بوضوح أنها تتخبط في ظلمات الأهواء، بعيدة كل البعد عن القيم الروحية والمبادئ الإنسانية التي تبلور حياة الفرد وترسم له طريق السعادة والفلاح.. كما سنرى أيضًا أن الفلسفة السائدة في تلك العصور، كانت قائمة على إنكار قيمة الإنسان كعقل وروح وجسد له حقوقه، ولا سيما على إنكار قيمة الطفل وإنكار حقوقه.

أجل، ففضلاً عن انكماش قيمة إنسان تلك الفترة المظلمة، شاعت الممارسات التي حطّت من قيمة الطفل أيضًا؛ حيث تعرّض لأشد الممارسات قسوة وأكثرها وحشية، ولم ينلْ أدني اهتمام من قِبل المجتمع الذي عاش في كنفه. فكانت للآباء في أُسَر تلك الآونة -مثلاً- حاكمية مطلقة وسيادة صارمة على أبنائهم؛ إذ كانوا يبيعون أبناءهم حين يشاؤون، أو يجلدونهم بعنف حين يغضبون، أو يقدّمونهم قرابين للآلهة حين يرغبون، أو يحكمون عليهم بالموت حين يضلّون.

ففي الصين القديمة، كان يُفرض على الأولاد الطاعةُ الكاملة للأبوين، ومن ثم يُرغَمون على الخضوع للآلهة التي يَعبُدانها، ومن يرفض ذلك، يلق أشد أنواع التعذيب. فمثلاً، كان الأولاد الذين يحقرون آباءهم ويهينون كرامتهم يعاقبون بالموت، كما كان الولد الذي يَقتل أباه عمدًا، يُحكم عليه بالموت تعذيبًا.

hiraatе.com

وأما في الهند القديمة، فكان الطفل الذي يولد نتيجة علاقة غير شرعية بين شخصين ينتميان إلى طبقة اجتماعية مختلفة؛ يُعزَل عن المجتمع ويُجعل في فئة المنبوذين. علمًا بأن فئة المنبوذين هذه، لا تُحسَب على أيّ طبقة في المجتمع، وهي فئة يُحكم عليها بالعيش المنعزل في المناطق النائية عن القرى والمدن، وبالتالي توضع في أدنى هرم المجتمع.

ولم تكن قيمة الطفل مختلفة عن غيرها من الحضارات الأخرى، في الأسرة اليهودية كذلك، إذ كانت الآباء تحتكر السيادة التامة على أفراد أُسَرهم، وإن الأولاد الذين يرفضون طاعة الأبوين يعاقبون بالضرب، والذين يصرّون على عدم الطاعة، أو الذين يهينون كرامة أبويهم فيضربانهما -مثلاً- يُحكم عليهم من قِبَل قاضي محكمة بالموت رجمًا بالحجارة.

هذا وقد عرفت الأنظمة القديمة ممارسات أكثر وحشية، ومنها ما كان يحدث في دولة المدينة اليونانية؛ إذ كانت الدولة تُجيز ذبح أبنائها جراء مصلحة اجتماعية أو دولية.. فمثلاً، كان عندما يولد طفل، تُرسِل الدولة إليه هيئة للمعاينة والفحص، وإذا قرّرت هذه الهيئة أن الطفل صحيح يَقوى على الحياة، يُسمح له بالعيش، أما إذا رأتْ هذه الهيئة أن الطفل مريض أو معاق أو ضعيف، تَحكم عليه بالموت، فيُصعَد بالطفل إلى جبل "تايجيت" ويرمى من صخوره العالية المرتفعة، لأن الحياة -بنظرهم- لا تليق إلا بالأقوياء.

وكذلك الأمر في الإمبراطورية الرومانية، حيث كانت الحاكمية المطلقة للآباء أيضا، مما أعطاهم الحق الكامل أو الحرية التامة في قتل أبنائهم، أو في رميهم في الشارع، أو بيعهم في الأسواق.. كما كان للأب الحق أيضًا، في أن يطلّق زوجة ابنه متى ما شاء.

وقد كانت العادة عند الأتراك قبل الإسلام، أن الأب هو رئيس الأسرة، ولكن لم تُعط له الحاكمية المطلقة؛ بل كان للأم أيضًا بعض الحقوق على أولادها.. وبعد وفاة الأب، كانت الكلمة المسموعة بين أفراد الأسرة للأم لا لغيرها.

قيمة الطفل في الإسلام

لم تكن حياة البنات فقط في خطر في الجزيرة العربية قبل الإسلام، بل كانت حياة الصبيان أيضًا تتعرض لذات الخطورة؛ حيث كان الآباء -قبل مجيء الإسلام- يقومون ببيع أولادهم في الأسواق أو يَقتلونهم. ولكن مع مجيء الإسلام انتهتْ حاكمية الآباء المطلقة على أبنائهم، ومُنحتْ الحقوق للأطفال؛ أي صار القانون يحفظ لهم حقوقهم، فيعاقب من يقتلهم أو يبيعهم أو يستعبدهم بأقسى أنواع العقاب.

لقد منح الإسلام حقوقًا للطفل منذ الولادة، وعندما يبلغ هذا الطفل السنة السابعة من العمر يرتقي إلى سن التمييز، ومع سن المراهقة يعدّ مكلَّفًا أمام الشرع في الإسلام. وقد قررت الشريعة الإسلامية أن من ضمن حقوق الطفل على والديه أن يُحسِنا اختيار اسمه الذي سيُدعى به بين الناس مستقبلاً، ومن الأمور التي أعطاها الإسلام للطفل -أيضًا- عقب ولادته؛ الرعاية الجيدة، وذبح العقيقة، والتربية والتعليم، وحفظ أمواله إنْ وُجد.. يعني أن حقوق الطفل تُحفَظ من قِبل وليّ أمر له حتى بلوغه، بعدها يبدأ المراهِق بمرحلة جديدة هي القيام بممارسة حقوقه بنفسه.

قيمة الطفل في الغرب

إذا ما تصفّحنا مصادر أوروبا التي تعود إلى العصور الوسطى، نلاحظ عدم وجود عبارات تتعلق بالطفل والطفولة، إذ كان الطفل في تلك الفترة، ينفصل عن أمّه في السن الخامسة أو السابعة، ليخوض غمار الحياة التي يخضع لها الكبار؛ وهذا -بطبيعة الحال- يؤدي إلى إدمان الطفل -منذ صغره- بشرب الخمر، ولعب القمار،

hiragate.com

وممارسة العادات السيئة التي تفسد الأخلاق والسلوك معًا. إن الطفل في حضارة أوروبا العصور الوسطى، لم يكن يحظى بالرعاية الخاصة التي يتمتع بها الطفل في الحضارة الإسلامية، الأمر الذي أدى إلى خلوّ اللغات الفرنسية والإنكليزية والألمانية من عبارات ومفاهيم تخصّ الطفل والطفولة. ولعل هذا هو السبب في قلة المؤلفات والكتب والمدوَّنات التي تتعلق بأدب الطفل وتربيته، التي وصلت إلى يومنا هذا.

ولكن مع عصر التنوير في أوروبا، بدأنا نرى عبارات ومفاهيم حول الطفل والطفولة تدور على ألسنة الشعب الأوروبي في تلك الآونة؛ حيث راح فلاسفة عصر التنوير، يدافعون بشدة عن ضرورة رعاية الأطفال وتربيتهم، والاهتمام بتعليمهم، وتوجيههم التوجيه الصحيح، ووضعهم في مكانة مختلفة عن الكبار. ومع حلول القرن الثامن عشر الميلادي، بدأت النخبة في المجتمع الأوروبي ثم الطبقة الوسطى، تعتني بتربية الأطفال وتعليمهم أكثر من ذي قبل. في حين ظلت أطفال الطبقات الدنيا في المجتمع الأوروبي في عصر التنوير، تُربّى على تقاليد وعادات مجتمعات العصور الوسطى دون أيّ خلل أو نقصان.

ومع حلول عام ١٩٢٠ تم تأسيس منظمة التعاون الدولية لإغاثة الأطفال، وتم في عام ١٩٢١ تأسيس اتحاد التعاون الدولي لحماية الأطفال، وذلك لحماية وتلبية حوائج الأطفال الذين تأثروا كثيرًا من أهوال الحرب العالمية الأولى. وبعد عامين من الزمن (١٩٢٣) تم إعلان اتفاقية حقوق الطفل (معاهدة جينيف). وقد تم في عام ١٩٢٤ المصادقة على هذه الاتفاقية من قِبل منظمة الأمم (الأمم المتحدة). والجدير بالذكر أن تركيا كانت في مقدِّمة الدول المبادِرة إلى المصادقة على هذه المعاهدة.

وقد تم في عام ١٩٥٩ الموافقة على اتفاقية حقوق الطفل من قِبل منظمة الأمم المتحدة التي أسستها الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية. فضلاً عن أن هذه الاتفاقية تم تحديثها فيما بعدُ من قِبل لجنة في الجمعية العامة للأمم المتحدة. وفي عام ٢٠ أكتوبر/تشرين الثاني ١٩٨٩ تمت الموافقة على هذه الاتفاقية تحت عنوان اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل. وقد وقّعت تركيا على هذه الاتفاقية في ٢٩-٣٠ سبتمبر/أيلول ١٩٩٠.

ومما لا بد من ذكره في هذا المقال، أن هناك ثلاث مراحل تتعلق بحقوق الطفل في المجتمعات التركية؛ حقوق الطفل قبل الإسلام، وحقوق الطفل بعد الإسلام، وحقوق الطفل في عهد الجمهورية التركية. حيث كان الطفل قبل الإسلام في المجتمعات التركية، يخضع للعيش داخل أسرة يحكمها الأب، أما في العهد الإسلامي فكانت حقوق الطفل مصانة بالشرائع والقوانين، وأما في العهد الجمهوري التركي فكانت القوانين التي تَحفظ حقوق الطفل مستوردة من الغرب.. فمن ثم يمكننا القول إن المراحل التي تمر بها تركيا اليوم بخصوص حقوق الطفل والاهتمام برعايته، هي ذات المراحل التي تمر بها أوروبا في أيامنا الحالية.

وفي الختام نقول إن حقوق الطفل ظهرت أول ما ظهرت مع الإسلام. بيد أن حقوق الطفل في الغرب، لم تظهر ولم تنم بشكل ملحوظ، إلا في العصرين الأخيرين فقط.

ولكن الانحطاط الأخلاقي ثم الاغتراب عن المبادئ الدينية والقيم الروحية لدى مجتمعاتنا الإسلامية، أدى -مع الأسف الشديد- إلى إهمال الطفل وعدم الاكتراث برعايته كما ينبغي.. ولعل هذا الانحطاط الأخلاقي هو العنصر الرئيس في عجز الدول أمام السيطرة على أبنائها وأجيالها التي ستبني لها المستقبل. ■

(*) كاتب وباحث تركي. الترجمة عن التركية: نور الدين صواش.

hiragate.com

د. فؤاد البنا*

صاحبَ فكر وأخا عمل يجب أن تكون.. سابقْ كل أمورك بمرسوم خطة، وعاجل كل مشاريعك بالدراسة والتدقيق.. فذلك هو سبيل النجاح في عاجل أمرك وآجله إنْ كنت تريد إحراز الفضائل في أمورك كلها ماديِّها ومعنويها.

الموازين

الهداية المنقوصة

جذر الغثائية عند المسلمين

مَن ينظر إلى واقع المجتمعات الإسلامية، سيجد أنها لا تختلف عن المجتمعات الأخرى من حيث امتلاك المقومات الأساسية للحضارة، وهي:

• الثروات الطبيعية الهائلة؛ زراعية، ومعدنية، وحيوانية، وطاقة، حيث تمتلك نصيبًا وافرًا يفوق حجمها السكاني.

• الثروة البشرية الضخمة، حيث يتراوح المسلمون ما بين ٢٠ و٢٥٪ من سكان العالم.

• الثروة الحيوانية والسمكية.

• المساحات الواسعة من الأرض، وتصل مساحة العالم الإسلامي إلى نحو ٢٥٪ من مساحة الكرة الأرضية.

• الموقع الإستراتيجي البالغ الأهمية، والذي يقع في قلب العالم ويتحكم بأهم المضائق المائية.

وسيظهر للرائي أن في بلداننا شعوبًا تعمل، ومشاريع تبنى، ومباني تعانق السماء.

وسيقرأ ويسمع ويشاهد آلاف البرامج والأحاديث والمقالات والأناشيد، عن المنجزات التي تفاخر الحكومات بها كمنجزات عظيمة، بل وتمنّ بها على شعوبها!

ولو بحثتَ عن أسباب الغثائية لوجدتها كثيرة، ولكن لو حاولت أن تنقب عن منبع المأساة لرأيت أنه الفرد، وأن جذر البلاء يكمن فيه، إذ يعاني أغلب المسلمين من خلل في تركيب شخصياتهم، ومن معضلة خطيرة في تكوين ذواتهم، يمكن تسميتها بـ"الهداية المنقوصة".

العيش في أكناف الغثائية

وعندما ندخل إلى عالم الأرقام التي تكشف الواقع بدون تزويق، وتبرز الحقائق بدون تزييف، عندها سندرك أن مشاركة المسلمين في المضمار الحضاري، هي دون حجمهم الطبيعي بكثير، حتى إن المبيعات السنوية لشركة عملاقة من الشركات المتعددة الجنسيات، تساوي صادرات عشرات الدول الإسلامية!

وتتأكد هذه الحقيقة الصافعة عندما نرى الذل يخيم على حياة بلداننا، ويجللها الهوان، وتصفعها الهزائم، وتغيبها التبعية العمياء.

عندها سينكشف أن غالبية المجتمعات الإسلامية، تغرق في بحار من الغثائية التي حذر منها المصطفى ﷺ.

ولو بحثت -قارئي العزيز- عن أسباب الغثائية لوجدتها كثيرة، ولكن لو حاولت أن تنقب عن منبع المأساة لرأيت أنه الفرد، وأن جذر البلاء يكمن فيه، إذ يعاني أغلب المسلمين من خلل في تركيب شخصياتهم، ومن معضلة خطيرة في تكوين ذواتهم، ويمكن تسميتها بـ"الهداية المنقوصة".

ما هي الهداية المنقوصة؟

الهداية هي منهج متكامل لخلافة الله في عمارة الأرض، وسُلّم آمن للعودة إلى فردوس السماء، ومزيل لأحجار العثرة التي تقف في طريق العبودية، مانعة إياها من تحقيق التفوق لأبنائها في المعاش ووراثة الأرض، ثم الفوز الأخروي ووراثة الجنة.

وتتكون هذه المعضلة من مبنى ومعنى -كما سيوضح هذا المقال- حتى لا تصير عوراء أو عوجاء.

الهداية العوراء

رغم حالة التخلف التي تعاني منها أمة المسلمين، ستجد فيها ملايين ممن يتحركون من أجل أمتهم، باذلين طاقاتهم وأموالهم في سبيل عزتها ومنعتها، وناذرين أنفسهم لتحقيق ما تصبو إليه من مرامي سامية وآمال سامقة.

ولا ينقص أكثر هؤلاء العاملين الإخلاص، إذ تجدهم محبين لأمتهم إلى حد العشق والشغف، ومنهمكين في العمل إلى حد التضحية والتفاني، حيث تحترق قلوبهم، وتشتوي أفئدتهم، وتلتمع أرواحهم، وتتفتت أكبادهم في هذا السبيل.

ورغم ذلك، فإن مجاميع عريضة من هؤلاء، لم تساهم في حل إشكالات الأمة بل عقدتها، حتى بدا كأن بعض أعمالهم تنتقم من مجتمعاتهم، وصاروا معاول هدم في صروحها.

وتنطبق هذه المفارقة على عدد من التيارات، مع الاختلاف النسبي بينها في الكم والكيف والتفاصيل، وأهم هذه التيارات:

١- **تيار التطرف الفكري** والإرهاب السلوكي، والذي يمارس التكفير والتسفيه ضد مخالفيه، أو يتوسل بالعنف لتحقيق أهدافه ومآربه.

٢- **تيار الزهد الأعور** والانسحاب الأخروي، والرضى الدنيوي بالدون والدنية، والذي وصل إلى قبول التدني في شؤون المعاش، تحت تأثير خدر الرضى بالمقدور ووهم الاستعداد ليوم المعاد.

٣- **تيار العقيدة الأخرق** الذي يخرق أفراده النواميس، وينالون من الأسباب، ويقعون في غياهب الجبرية وغيابة التواكل، تحت مزاعم توحيد الله رب العالمين!

إن هؤلاء المسلمين لا ينقص أكثرهم الإخلاص، إنما ينقصهم العلم الذي يرسم لهم خارطة الطريق المستقيم نحو تحقيق الغايات، والذي يحدد الأساليب ويخترع الوسائل.

ولذلك يرتبكون ويرتكبون الكثير من الخطايا وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا!

hiragate.com

الهداية العرجاء

وفي طرف آخر تجد أصحاب علم وفير، وأهل فهم صائب، وملاك رؤى بصيرة، تجدهم منخرطين في الحراك الحياتي داخل مجتمعاتهم، وأعدادهم وفيرة، غير أن منجزاتهم هينة وفاعليتهم واهنة.

ستراهم يعملون ولكن ببطء، ويتحركون ولكن ببرود، ذلك أنهم لا يمتلكون دوافع الحركة والبركة، ولا محركات الدأب والنصب، إذ يفتقدون حرقة القلب، وتوهج الفؤاد، وتوقد المشاعر؛ نتيجة افتقادهم لحرارة الإخلاص وأشعة التقوى.

مكمن الخلل

ولو تمعن المرء مليًّا في تشخيص هذه المعضلة، لوجد أن عنوانها الأنسب هو "الهداية المنقوصة"، حيث افترق مكونا الهداية الأساسيان، حتى سقط علماء في مستنقع الرياء، وتاه مخلصون في قارعة الضلال.

ولو تعمقنا في التشخيص، لوجدنا أن منبع الضخ لهذه المعضلة، هو عدم التعامل السوي مع دستور الإسلام (القرآن الكريم)، ومع عمود الدين (الصلاة)، وذلك لغياب العقل أو غفلة القلب وربما كليهما.

ولا شك أن نقص التدبر العقلي أثناء قراءة القرآن وإقامة الصلاة، يفقد المسلم بوصلة الفقه الرشيد.

ويؤدي نقص الخشوع القلبي إلى انطفاء حرارة العبادة، وفقدان حيوية السلوك، ويجعلها شعائر بلا مشاعر، وقوالب بلا قلوب، ومباني بلا معاني، ليصبح أصحابها في المحصلة أشباحًا بلا أرواح، وتصير أعمالهم حركات بدون بركات، ولتنبت جهودهم أشجارًا من دون ثمار.

"فاتحة" الهداية

افتتح الله هداية القرآن الكريم بسورة "الفاتحة"، وهي بالفعل فاتحة الهداية الكاملة.

ولأن الهداية تشتمل على تحصيل حسنتي الدنيا والآخرة، فإن المسلم لا ينفك عن طلب الهداية من الله في كل ركعة من ركعات الصلاة، حيث يقرأ في سورة الفاتحة: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

الهداية هي منهج متكامل لخلافة الله في عمارة الأرض، وسُلّم آمن للعودة إلى فردوس السماء، ومزيل لأحجار العثرة التي تقف في طريق العبودية، مانعة إياها من تحقيق التفوق لأبنائها في المعاش ووراثة الأرض، ثم الفوز الأخروي ووراثة الجنة.

ولقد حدد الله تعالى طبيعة هذا الصراط، بأنه صراط المنعم عليهم من الله، وهل هناك أغلى من نعمة الهداية الكاملة؟

إن الهداية هي هدية السماء للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ لكونهم نجوم الأرض. فهي النور الذي يستضيؤون به في عبور الصراط نحو الجنة كمثوى، والزاد الذي يرفع معراجهم نحو الفردوس الرباني الأعلى.

وهو بالطبع غير سبل الباطل، وغير طريقي البوار: طريق المغضوب عليهم، الذين يعرفون الحق ويسيرون في طريق الباطل، وطريق الضالين الذين أرادت قلوبهم الحق، لكن عقولهم لم تسعفهم نتيجة عمههم في الجهالات وغرقها في الضلالات.

لقد امتلك المغضوب عليهم بوصلة الهداية، لكنهم فرطوا بالزاد الروحي نتيجة عدم تحليهم بالإخلاص، أما الضالون فقد امتلكوا الزاد وأضاعوا البوصلة نتيجة جهلهم.

والهداية الكاملة تتطلب استنارة الجوانح والجوارح، واستقامة النظرات والحركات، وصفاء المنابع والدوافع.

وهذا لا يتأتى إلا بحضور العقل والقلب في قراءة القرآن وإقامة الصلاة وسائر الشعائر، مع التجاء كامل إلى الله، واتكاء على الدعاء كما كان ﷺ يفعل؛ فقد كان من دعائه ﷺ: "اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه". ■

(*) أستاذ الفكر الإسلامي السياسي، جامعة تعز / اليمن.

hiragate.com

أ.د. الشاهد البوشيخي*

حدد هدفك بجلاء، وأَبِنْ عن غايتك بوضوح، وإلا تعددت الأهداف، وساد الاضطراب، وحلت الفوضى.. فكم من مشاريع واعدة عقمت ولم تؤت ثمرة بسبب التباس الغاية وارتباك الهدف، بل وخلّفت وراءها أحقادًا وشكوكًا ونفورًا.

الموازين

ذكر الله.. طاقة الصبر والثبات

١ المسلمون بحاجة إلى أن يعودوا إلى القرآن؛ إذ فيه المخرج من كل هَمّ، ومن كل كَرْب وضيق، وفيه النجاة من كل أزمة، وفيه الحل لكل معضلة: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(الأنعام:٣٨). ولكن الواقع اليوم، أننا -نحن المسلمين- انصرفنا عن القرآن واتخذناه مهجورًا: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾(الفرقان:٣٠). المسلمون اليوم هاجرون للقرآن الكريم، وبالأخص في التعليم؛ حيث لم تعد الأمة تعلِّم القرآن كما ينبغي، بينما كانت في القرون الخوالي لا تعلِّم شيئًا قبل القرآن، كان أول ما يعرفه الصغير هو كتاب الله، فيجتهد في أن يأخذ منه أكبرَ حظ، ثم يجتهد في أن يتعلم ما في ذلك من كنوز العلم، وأن يتخلق بالأخلاق المذخورة في القرآن العظيم. ولكن القرآن اليوم مهجور في التعليم، والإعلام، وفي الواقع العملي.. فأصبحت أخلاقه لا تُعلَّم.

لا علاج لـ"أمة القرآن" إلا بالرجوع إلى القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، ولا ينتهي خطابه وهُداه.. ينبغي أن يعود المسلمون إلى كتاب الله ﷻ، يقرأونه وكأنه يتنزّل عليهم من جديد؛ لأن هذا القرآن ليس خطابًا للمهاجرين وللأنصار في مكة والمدينة فحسب، بل إنه خطابٌ لجميع العصور حتى قيام الساعة، لا يحدّه زمان ولا مكان. وإن فيه نماذج بشرية يمكن أن تكون في كل وقت؛ حيث يجد القارئ نموذج الجبار الطاغية المجرد عن الزمان والمكان، ويجد كذلك نموذج المؤمن الصابر الثابت المحتسب المجرد عن الزمان والمكان.. أيْ يجد في القرآن نموذجين يتصارعان؛ نموذج الخير ثابت هو نموذج رسول الله ﷺ العبد الذي صلّى، وكان

على الهدى، وأمر بالتقوى، ويجد والعبد الطاغية لا يكتفي بألا يتَّبع هو الحق، بل يريد أن يمنع غيره من اتّباع الحق فينهى عبدًا إذا صلّى، وكذّب وتولّى.

إذن، القرآن مجرد عن الزمان والمكان، ولكنه صالح لكل زمان ومكان. ولذلك بدأت الآيات بنداء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وليس "يا أيها المهاجرون"، ولا "يا أيها الأنصار"، ولا "يا أيها العرب"، ولا "يا أيها المدَنيّون"، ولا "يا أيها المكّيّون" في ذلك الوقت، وإنما ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ ويعني ذلك أنه إذا وُجدت رابطة الإيمان بين جَمْع من بني آدم، فإنهم يصيرون مؤهلين لأنْ يخاطَبوا بهذا النداء في أي عصر، وفي أي فترة، وفي أي مكان كانوا.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾(الأنفال:٤٥)؛ إن تعبير "اللقاء" بصفة عامة في القرآن، يغلب أن يكون في الحرب، و"الفئة" مثل ذلك. والواقع الآن على نفس المستوى والمعنى؛ هم في حالة لقاء -شاءوا أم أبَوْا- مثلما قال الله ﷻ في الشيطان: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(فاطر:٦)، هو لكم عدوّ، سواء علمتم ذلك أو لم تَعْلَموه، وسواء اتّخذتُموه عدوًّا أو لم تتخذوه، إنه لكم عدو.. إذن خَيْرٌ لكم أن تتخذوه عدوًّا كما هو لكم عدوٌّ أصلاً.

أهمية الثبات

إن نداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ موجَّه إلينا اليوم، والحلُّ اليوم توجيهاتٌ ربانية للمسلمين في الكرة الأرضية بـ"الثبات". أول توجيه يُعْطَى للمسلمين في الكرة الأرضية هو ﴿فَاثْبُتُوا﴾؛ اثبتوا على دينكم، واثبتوا على قرآنكم، اثبتوا على سنة نبيكم، واثبتوا على العلم الصحيح الذي استفاده علماؤكم واستنبطوه من كتاب ربكم وسنة نبيكم، اثبتوا على الأخلاق الشرعية التي استفدتموها من كتاب الله ﷻ، وعلى العادات الصالحة التي عندكم في أُسَركم، واثبتوا على الخير الذي أنتم عليه.. وإياكم أن تستجيبوا لنداءات الكفر والضلال؛ لأن المسلم لا يتلقى إلا من جهة واحدة هي جهة الله ﷻ، وذلك أساسٌ موجود في الوحي في كتاب الله ﷻ وفي سنة رسوله ﷺ، ومن هنا نأخذ العلم ونأخذ الهداية: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبراهِيمَ حَنِيفًا﴾(البقرة:١٣٥)، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾(الأنعام:٧١).

لا ثبات على الهدى بدون معرفة قيمته، ولكي نَثبت -نحن المسلمين- عليه يجب أن نعلمه ونفقهه؛ لأن مَن لا يعرف شيئًا فكيف يثبت عليه وهو لا يعرفه؟ إذن، لا بد أن نعلم ونعمل لنزداد علمًا بما علمنا ونثبت على ذلك، وهذا ما يأمرنا الله ﷻ به اليوم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾.

جلب معية الله سبحانه

لا ثبات على هدى الله بدون ذكر الله ﷻ، والذي يُعين المسلم على ذلك كله هو ذكر الله: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(الأنفال:٤٥). إن ذكر الله يعطي المسلم طاقة هائلة يستطيع بها أن يثبت ولو كان قلّةً، لأن هذا الدين لا ينتصر بـ"الكثرة"، وإنما ينتصر بـ"المعيّة": ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الروم:٤٧)، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(غافر:٥١). لكن المعية لا تكون إلا مع التقوى والإحسان في تطبيق هذا الدين: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾(النحل:١٢٨)؛ فالله ﷻ يبارك كل ما يفعله المتقي، فتنفعل له الأشياء من حوله، وتتيسّر له الأمور.. وما تيسّرت لرسول الله ﷺ، ولجنود الله من أمور الإمبراطورية الفارسية الكسروية، ومن أمور الإمبراطورية الرومانية القيصرية، إلا بالتقوى والإحسان الجالبَين المعية الربانية.

لا سقوط للمفسدين في الأرض إلا إذا نهضت أمة الهدى ذات الكيان الواحد، لكن لن يحدث ذلك إلا إذا حدث مَن يخْلُف ومَن يقُود بني آدم في الأرض إلى الهدى والخير والتّقى.. لن يحدث ذلك إلا إذا ظهر

لا ثبات على هدى الله بدون ذكر الله ﷻ؛ إن ذكر الله يعطي المسلم طاقة هائلة يستطيع بها أن يثبت ولو كان قلّةً، لأن هذا الدين لا ينتصر بـ"الكثرة"، وإنما ينتصر بـ"المعيّة"، والمعية لا تكون إلا مع التقوى والإحسان في تطبيق هذا الدين.

hiragate.com

لا ثبات في المواجهة والذكر والطاعة، إلا بالصبر. فلكي تكون الطاعة لله كما أمر، يجب على المسلمين أن يصبروا، ولكي يثبتوا لا بد من الصبر.. ولكي يذكروا الله كثيرًا ويحاربوا التنازع، لا بد من الصبر؛ لأن الصبر ثبات كبير، والجزاء عند الله.

"الذين آمنوا"، وظهرت الأمة التي نادى بها أبونا إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾(البقرة:١٢٨)، تلك الأمة المسلمة التي أسلمت أمرَها إلى ربها، وهي في وضْع أمة وكيان واحد، وليس في وضع الأشتات.

الثبات وذكرُ الله ﷻ

قال تعالى: ﴿فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فلكي يحصل الثبات حقًّا، نحتاج إلى ذكر الله، لأن الله ﷻ أكبر من كل كبير، إن في هذا الشعار الذي نكرّره في كل صلاة كثيرًا من المرّات؛ تنبيهًا بأن نجعل في قلوبنا هذه الحقيقة تكْبُر (حقيقة اللهُ أكبرُ) فلا نخشى مخلوقًا، فالله وصف المكبّرين لله في الصلاة بأنهم لا يخشون أحدًا: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾(التوبة:١٨)، والذي يخشى غير الله، لا يَعْمر بيتَ الله ولو ملأ جسمه موضعه، لا يُعتبر في منطق القرآن ولا في ميزانه عامرًا لبيت الله؛ لأنه كي يَعْمر به بيت الله، ينبغي أن يكون الله في قلبه أكبرَ من أي شيء آخر كيفما كان نوعه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(التوبة:٢٤)، ينبغي ألا يزاحم اللهَ في قلب المؤمن شيء: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾(المدثر:٢-٣).

ذِكْرُ الله كثيرًا يجعل حقيقة "الله أكبر" تسكن في القلب، وإذا سكنتْ في القلب صَغر ما سوى الله، وإذا صغر فيه ما سوى الله، انتهى تأثيره الخارجي وصار تأثير الله ﷻ هو الحقيقة الواقعة في الأعمال والأفعال، وهذه فائدة ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. نجد في هذه الآية الكريمة تنبيهًا على "الذكر الكثير"، لأن هذه التعبئة وهذه الطاقة في الظروف الصعبة في مثل ظرف المواجهة القائمة اليوم بين المسلمين وغير المسلمين في العالم، تحتاج إلى طاقة كبيرة، وإلى تعبئة كافية، وإن تلك التعبئة تحتاج إلى الكثرة في الذكر: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. فلا ثبات على الهدى، ولا ذكر لله إلا وفق المنهاج.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الواجب الأساسي هو الاتباع والطاعة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(الأنفال:١)؛ لا بد أن تسيروا -أنتم أمة الإسلام- على المنهاج الرباني فلا تخرقوا السفينة؛ عن نعمان بن بشير عن رسول الله ﷺ قال: "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ مَن فوقنا؟ فإن تركوهم وما أَرَادوا هَلَكوا وهلكوا جَميعًا، وإنْ أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا" (رواه البخاري).

الرسول ﷺ يضرب المثل بنوعين، نوع يسلك طريق الله جيِّدا، ونوع خارج عن طريق الله.. هذا النوع يشبهه بناس ركبوا سفينة واحدة، ولما ركبوا السفينة تقاسموا بينهم واستهموا، منهم مَن سكن في الأعلى ومِنهم من سكن في الأسفل؛ فكان مَن في الأسفل يصعدون إلى الأعلى فيأخذون الماء من البحر فيرجعون، لكنهم رأوا أنهم يؤذون مَن فوقهم، فقالوا لنجعل ثقْبًا في الأسفل فنأخذ الماء دون تعب أو أذى.. فَهُمهم كان بنيّة حسنة وليست سيئة، ولكن لا يجوز لهم فعل ذلك لما يترتب عن الخرق من هلاك ركّاب السفينة كلهم، وهذا الخرق المهلك هو الذي يقع اليوم.

ولذلك أول صفة لهذه الأمة، هي ما قاله الله لها: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(آل عمران:١٠٤)، وفي الآية الأخرى: ﴿كُنْتُمْ

hiragate.com

خَيْرَ أُمَّةٍ﴾(آل عمران:١١٠)، ولكن بأي شيء؟ لم يقل "تؤمنون بالله" في الأول؛ لأن الإيمان يوجد عند هذه الأمة وعند الأمم التي كانت قبلها. إذن ما هي الحاجة التي توجد عند هذه الأمة وتتميز بها ولا توجد عند غيرها من الأمم التي سبقتها؟ إنها ميزة ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(آل عمران:١١٠) ثم جاء ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾، لأن الميزة التي تميز هذه الأمة هي ما تضمّنته قصة السفينة، يجب على الآخرين ألا يخرقوا السفينة، ويجب على الأمة أن تحرس السفينة.. وهذا الواقع هو الذي يعالجه قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾.

إطاعة الله ورسوله

يقول تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾(الأنفال:١). وفي أي شيء نطيع الله؟ نطيع الله في الذي قاله في القرآن، وفي الذي هو في الحديث، حيث ينبغي ألا يُتَّبع منهجٌ غير منهج الله ﷻ، أو طريق غير طريق رسول الله ﷺ. كما يجب عدم اتّباع طرق غير المسلمين في أي مجال من مجالات التديّن والتعبّد والتخلّق، إلا إذا كانت لديهم فائدة علمية أو إدارية توزن بميزان الإسلام، فإذا قَبِلها فمرحبًا بها، وإذا رفضها فيجب أن تَلْزم مكانها. إذن يَلزم الإسلامَ جمارك لا تسمح بالدخول لأي فَهْم أعوَج، جمارك تترك له فقط الفهْم السليم لكي يطبق النداء الرباني: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾.

ولكي تثبتوا حقيقة ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾(الأنفال:٤٦) حذار من التنازع؛ فالاستعمار عمِل كل ما في جهده ليوسّع رقعته، لذلك وزَّع العالم الإسلامي أطرافًا أطرافًا. ينبغي على المسلمين ألا يسقطوا في الفخ المشهور "فرِّقْ تَسُدْ". إنهم اليوم يريدون أنواعًا جديدة من التفريق عن طريق اللهجات، وعن طريق العِرْقيات.. لذا يجب على الذين آمنوا ألا يفوّتوا هذه الفرصة على كل المستويات.

الحرص على حفاظ الوحدة

الإنسان يجب أن يتصالح مع ذاته فيجعل قلبه ولسانه وأعماله واحدة، فلا يكون لسانه شيئًا وأفعاله شيئًا وقلبه شيء آخر. ينبغي القضاء على ظاهرة "النفاق الفعلي"، فهي لا تزيد المسلمين سوى هلاك في هلاك. كذلك ينبغي أن تقلّ المشاكل العائلية، وينبغي على الأفراد والأُسَر أن يتماسكوا، والخلافات ينبغي أن تقلّ. كما ينبغي على الأُسَر أن تسير على شرع الله كما كانت عليه في السابق.

فهذا الأمر الذي هو التنازع -سواء على مستوى الفرد أو الأسرة أو الأحياء- ينبغي أن يُمحى بالتزاور والتسامح والتعاون والتآخي.. كل ذلك ينبغي أن يعود ليصبح المسلمون يدًا واحدة كما قال رسول الله ﷺ في الحديث المروي عن النعمان بن بشير: "مَثَل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثَل الجسد، إذا اشتكى منه عضْو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى" (رواه مسلم). إن شعوب المسلمين في العالم الإسلامي، عليهم أن يكون لهم الشعور بأنهم جزء من أمة. فكل المعاني التي تفرق بين هؤلاء عن هؤلاء، ليست من الدين. فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ليس منّا من لطم الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية" (رواه البخاري)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(المؤمنون:٥٢). فالأمة الإسلامية أمة واحدة، وكل واحد في هذه الأمة مطالب بالقيام بواجبه: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾(الأنفال:٤٦)؛ فإنه أمر يجب على كل مسلم أن يحاربه في بيته، وفي أسرته، وفي حيّه، وفي أي مكان وُجد فيه.

مأوى الصبر

لا ثبات في المواجهة والذكر والطاعة إلا بالصبر: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(الأنفال:٤٦)؛ فلكي تكون الطاعة لله كما أمر، يجب على المسلمين أن يصبروا، ولكي يثبتوا لا بد من الصبر.. ولكي يذكروا الله كثيرًا ويحاربوا التنازع، لا بد من الصبر؛ لأن الصبر ثبات كبير، والجزاء عند الله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(الزمر:١٠)، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾(البقرة: ١٥٥-١٥٧). ■

(*) الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) / المغرب.

hiragate.com

أ.د. عرفان يلماز*

حملي ثقيل ولكن..
حديث السلحفاة

مرحبًا عزيزي الإنسان.. منذ زمن طويل وأنا أترقب هذه اللحظة الجميلة.. عندما أخبرني أصدقائي قبل شهور عن اقتراب اللقاء بك، طِرْتُ من الفرح، وبلهفة كبيرة توجهتُ إلى المكان المحدد.. والحمد لله، ها قد وصلتُ.. لا تسأل عن السبب.. تعرف أني سلحفاة وبطيئة الحركة. أوَما قلتَ عن الكسول أنت أيضًا: "رجل بطيء كالسلحفاة". فتلك السلحفاة هي أنا.. ولكن ماذا أفعل؟ هكذا خلَقني ربي!

اعلم أن ما يميزني عن شقيقاتي الحيوانات، هو الدرع العَظمي الصلب الذي يغطي جسمي كله. أجل، لقد غُطّي جسمي من جميع أطرافه بدرع يتكون من صدَفة عظمية ملتحمةِ الأجزاء بإحكام. يحتوي هذا الدرع على فتحة خلفية تحت الذيل لإخراج أرجلي وكذلك البراز والبيض، وفتحةٍ أمامية لإخراج رأسي ويدي. ولا أستطيع الخروج من هذا الدرع أبدًا، لأنه جزء من جسمي لا ينفصل. إن جسمي كله -ما عدا فقرات الرقبة وفقرات الذيل- ملتحم بهذا الدرع من الداخل وبشكل محكم، ولكن ثِقَل وزنه يسبب لي التباطؤ في الحركة والتنقّل من مكان إلى آخر.

لا بد من الإشارة -عزيزي الإنسان- إلى أن النوع الذي أنحدر منه أنا السلحفاة البريّة (Testudo) خُلق للعيش في اليابسة وهو بطيء الحركة، كما أن هناك أنواعًا خُلقت للعيش في البحار، وأنواعًا أخرى للعيش في المياه العذبة الراكدة. وأمّا السلاحف التي تعيش في البحار (Dermochelys, Caretta, Chelonia) فتفوق بسرعتها الكثيرَ من المخلوقات البحرية، حيث إنها زُوِّدت بزعانف خاصة من قبَل صانعها القدير ﷻ. فمثلاً، السلحفاة الخضراء البحرية (Chelonia Mydas) تستطيع أن تسبح ٤٨٠ كلم

في ١٠ أيام. وقد بيّنت الدراسات العلمية أن السلحفاة ذات الظهر الجِلْدي (Dermochelys Coriacea) التي تعيش في البحر، تسبح بسرعة ٣٥ كلم في الساعة الواحدة. وأما نحن السلاحف البريّة فنسير بسرعة ٠,٢-٠,٤ كلم فقط في الساعة الواحدة. وأوضحت الدراسات العلمية أيضًا، أن سلحفاة الغالاباغوس العملاقة تقطع ٦ كلم فقط على مدار اليوم كله.

أرجلي وزعانفي

لقد زوّدني ربي بأرجل أسطوانية بدينة ذات أظافير كبيرة تساعدني على المشي في اليابسة من جانب، ومن جانب آخر أستخدمها كمجرفة للحفر، حيث يمكن أن أحفر بهذه الأظافير حفرة للإقامة فيها زمنًا طويلاً وقضاء معظم الوقت. أما السلحفاة المائية فتختلف أرجلها عن أرجلي، حيث زُوِّدتْ بزعانف كبيرة تمكّنها من السباحة في البحار. وأما سلاحف المياه العذبة فتتمتع بأرجل ذات أصابع تتصل ببعضها بجليدات رقيقة، والحكمة في ذلك أنها تخرج إلى اليابسة باستمرار، ثم تعود لتسبح في الماء من جديد.

ولا بد هنا من إعادة التذكير بأنه لا مكان للصُّدْفة في هذا الكون الشاسع، وليس صحيحًا أن الطبيعة هي الصانعة -كما يدعي الارتقائيّون- بل هي المصنوعة من قِبَل صانع عظيم جلّت قدرته، وما نحن المخلوقات إلا تجليًا من تجليات أسمائه الحسنى.. وإنه تعالى هو مَن خلق الشيء من اللاشيء بقدرته الخارقة وعلمه الأبدي اللامتناهي.

ليس لنا نحن السلاحف أسنان، بل نتمتع بصفائح من العظم نستخدمها لقَطع الشجيرات والأعشاب وطحنها طحنًا جيدًا عن طريق الضغط، وهذا -بطبيعة الحال- يغنينا عن الحاجة إلى الأسنان. أوليس هذا دليل على أن ربنا يطعم مَن يشاء حتى ولو كان دون أسنان، ويعطي الرزق لمن يشاء بغير حساب؟

أحجامنا المختلفة

لقد تم خلقنا نحن السلاحف بأحجام مختلفة. فمثلاً، السلحفاة العملاقة ذات الظهر الجلدي التي تعيش في البحار، فيبلغ طولها مترين اثنين، ووزنها ٤٥٠ كلغ.

علمًا بأن إحدى السلاحف من هذا النوع، استطاعت أن تدخل كتبَ الأرقام القياسية بطولها الذي بلغ ٢,٩١ م، ووزنها الذي وصل إلى ٩٦١ كلغ. وأما أضخم سلاحف المياه العذبة الراكدة فهي السلحفاة ذات الأهداب أي السلحفاة التمساح (Macroclemys Temminckii)؛ حيث يبلغ طولها مترًا واحدًا، وتزن ١٠٠ كلغ. وأما الرقم القياسي في الوزن لهذا النوع، فوصل إلى ٢٢٧ كلغ. إنها من أضخم أنواع السلاحف الموجودة في المياه العذبة، وبالتالي هي أشرس السلاحف المائية، تتميز بقوة النهش والعض. أما أضخم أنواعنا البرية فهي السلاحف العملاقة التي تعيش في جزيرة غالاباغوس، وسيشيل، وألدابرا المرجانية. وأما أحجام عمالقة العالَم هذه فيصل إلى ١٢٠ سم، وتزن نحو ٣٠٠ كلغ. وأما الرقم القياسي في هذا النوع، فهو للتي تعيش في فلوريدا، والتي بلغ طولها ١٣٦ سم، وارتفاعها ٦٨ سم، وتزن ٣٨٥ كلغ.

أتدري كم أعيش؟

أنا متأكدة -عزيزي الإنسان- أنك تذكر العمر الطويل حالَما يُذكر اسم السلحفاة. هذا صحيح؛ إن ربنا ذا الجلال والإكرام، رزقنا عمرًا طويلاً.. ولعل الحكمة في ذلك يرجع إلى عيشنا الهادئ وتحرّكنا البطيء في هذه الدنيا الفانية. فمثلاً، إحدى السلاحف المعمّرة التي تعيش في جزيرة ألدابرا المرجانية، بلغ عمرها إلى ١٥٢ سنة، وأخرى إلى ١٩٣ سنة.. حتى قيل إن أعمار بعض هذه السلاحف تتراوح ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ سنة. ولكن المهم ليس العمر الطويل، بل استثمار هذا العمر بالشكل الذي يرضي ربّنا وأنت أدرى بذلك، لأن رب العالمين، لم يحمّلنا نحن أمانة الخلافة في أرضه،

hiragate.com

بل حمّلك إياها، ووضع هذه المسؤولية الثقيلة على أكتافك.. لذلك، الواجب عليك -أيها الإنسان- أن تفكر في خلق السماوات والأرض جيدًا، وتبذل كل طاقتك في سبيل معرفة ربك العلي القدير.

أسراري الفيسيولوجية

غايتي في التقائي بك، هو الكشف لك عن أسرار خلقي فيزيولوجيًّا وتشريحيًّا.. إن كثافة السوائل داخل أجسام أنواعنا البحرية ونظام الترشيح الكلوي، يختلف من سلحفاة لأخرى.. وكذا الأمر عند السلاحف البرية؛ حيث تختلف وظيفة الكلى لديها -أيضًا- بين الواحدة والأخرى. ومن الملفت للنظر عند أنواعنا البحرية، تصفية الملح الذي يدخل جسمها من ماء البحر؛ حيث تقوم خلايا غددها المسيِّلة للدموع، بانتقاء الأملاح الزائدة من الدم، وطرحها خارجًا على شكل دموع غزيرة من أطراف العين.. أما أنواعنا التي تعيش في المياه العذبة، مع التي تعيش في البر، فلا تحتاج إلى إفراز أملاح من عيونها كما عند البحرية. ولكن التي تعيش في البر، فأثناء طرحها النفايا النيتروجينية، فبدلاً من أن تتبوّل سائلاً فإنها تقوم بطرحه بولاً داكنًا -على شكل رقائق- يحتوي على حمض اليوريك، وذلك للحفاظ على سوائل جسمها.

كما هو معلوم، أن معظم الحيوانات تملك أضلاعًا مرنة ومتحركة؛ حيث تتحرك هذه الأضلاع عندما تتحرك عظمة القفص خارجيًّا، فتُزيد من حجم الجوف الصدري وبالتالي تتيح مساحة كافية لتوسع الرئة وتمددها أثناء التنفس. أما أضلاعنا -نحن السلاحف- فتلتحم بالترس (Carapace) أي بالدرع الأعلى الذي يغطي الظهر والجانبين، وتلتحم بالصِّدار (Plastron) أي بالدرع الأسفل الذي يغطي البطن، ونتيجة لهذا الالتحام، لا يستطيع الجوف الصدري التوسع والتقلص، فيظلّ ثابتًا دون حراك. وكأني أسمعك تقول: وكيف ستتوسع رئتكِ إذن؟ لا تقلق عليّ يا عزيزي، لقد زودني ربي -العليم الخبير- بآلية مختلفة تتيح للرئة القيام بالتوسع والتمدد؛ حيث يتم إفساح المجال لها كي تتوسع وتمتلئ بالهواء، من خلال تقلص الأعضاء المحيطة بها وابتعادها عنها أثناء عملية الشهيق، ثم عودة هذه الأعضاء لوضعها الطبيعي، وبالتالي يضغط على الرئتين فيخرج الهواء منهما في حالة الزفير، كما أن حركة أرجلي أيضًا، تساعد على امتلاء رئتي بالهواء.

ذكر أم أنثى؟

نضع بيضنا في حفرة رملية أو تربة رخوة، ثم نطمرها لتنمو وتفقس، ثم نستودعها الله ونعود إلى حياتنا اليومية الطبيعية. ما أعنيه أننا لا نرقد على البيض ولا ننتظر فقسها مثل الطيور. وعندما تصل حرارة الرمال إلى المستوى اللازم تحت أشعة الشمس، تبدأ الأجنة داخل البيض بالنمو؛ لأن الرمل يقوم بدور الحفاظ على الحرارة مما يجعله بمثابة حضانة مثالية لبيضنا الذي نضعه.

إن للحرارة تأثيرًا كبيرًا في التكاثر والازدياد. ولا بد هنا أن ألفت انتباهك -يا عزيزي- إلى أن الذكور، تخرج من البيض الذي يبقى تحت درجة الحرارة اللازمة، وأما الإناث فتخرج من البيض الذي يتجاوز درجة الحرارة اللازمة، كما أن البيض الذي يظل بين هاتين الدرجتين من الحرارة، فيخرج منه ذكور وإناث، أو تخرج منه أفراخ مخنثة. فمثلاً، نوعنا السلحفاة البرية (Testudo Graeca) يفقس بيضها ذكورًا في درجة ٢٩,٥ من الحرارة، أما البيض الذي يتجاوز ٣١ درجة فتخرج منه الإناث. وأما السلحفاة المائية العذبة (Emys Orbicularis) فيخرج ذكرًا من البيض الذي يبقى تحت درجة ٢٧,٥ من الحرارة، وأنثى من البيض الذي يصل إلى ٢٩,٥ درجة، وأما البيض الذي يظل بين ٢٨-٢٩ من الحرارة

hiragate.com

فتخرج منه أفراخ مختنثة.

هذا وقد يختلف عدد بيضنا في موسم التكاثر من نوع لآخر. فمثلاً، كل عام تجتمع السلاحف البحرية البالغة، في مناطق معينة في البحر، للتزاوج، وبعد التزاوج تخرج الإناث في عتمة الليل من الماء إلى الشواطئ الهادئة البعيدة عن الأنظار باحثة عن موقع مناسب لوضع بيضها، وما أن تجد الموقع حتى تباشر بحفر حفرة تضع فيها ٧٠-١٨٠ بيضة، ثم تطمرها على الفور. وقد تضع السلحفاة خطافية المنقار (ذات منقار الصقر) (Eretmochelys Imbricata) ٢٤٢ بيضة في المرة الواحدة، كما تضع السلحفاة البحرية الخضراء (Chelonia Mydas) في موسم التكاثر -وفي أقل من خمسة أشهر- ما يزيد على ١,١٠٠ بيضة موزَّعة إلى ١١ حفرة مختلفة. أما السلحفاة المفلطحة (Malacochersus Tornieri)، والسلحفاة ضخمة الرأس (Platysternon Megacephalum) فتبيض بيضة أو بيضتين فقط.

وقد تختلف مدة الحضانة من نوع لآخر وفقًا لحجم السلحفاة؛ فبينما تستغرق هذه المدة عند النوع الصغير من السلاحف البرية ٧٠-١٠٠ يومًا، تستغرق عند الضخم من السلاحف البرية ١٠٠-١٦٠ يومًا، أما عند السلاحف البحرية فتستغرق مدة الحضانة ٦٠-٨٥ يومًا.. بعد ذلك يفقس البيض، وبسَوقٍ إلهي تخرج الفراخ وتبدأ بشق طريقها نحو سطح الرمال في الحفرة. وما إن تخرج، حتى تولّي مسرعة نحو البحر وكأنها تعرفه منذ زمن طويل. والملفت للنظر أن أفراخنا زُوِّدتْ بجهاز من الكيراتين على سطح فكها العلوي يشبه قاعدة البندقية، وتستخدمه من أجل الخروج من البيضة، إذ عن طريق هذا الجهاز، تقوم بكسر قشرة البيضة وبالخروج منها بسهولة.

كيف نتغذى؟

إن أنواعنا البرية تتغذى على الأعشاب والخضار فقط، أما بعض أنواعنا البحرية وأنواعنا التي تعيش في المياه العذبة، فتأكل كل شيء، وبعضها الآخر يتغذى على اللحم فقط. فنوع واحد من الأنواع البحرية يتغذى على الأعشاب والنباتات، والأنواع المتبقية تتغذى على سمك الحبار، والرخويات، والقشريات.. إذ تملك هذه الأنواع البحرية من السلاحف مِفكًّا قادرًا على تحطيم صدَفة بحرية بكل سهولة.

إن أنواعنا البرية تجد بسهولة ما تقتات عليه من النباتات والأعشاب. ولكن أنواعنا البحرية ليست محظوظة إلى هذه الدرجة.. فالسلحفاة ذات الظهر الجلدي العملاقة -مثلاً- تطارد فريستها سمكة الحبار حتى عمق ١٢٠٠ م ولا تبالي بجسمها الضخم، حتى إنها تغوص في عمق ١٥٠٠ م دون خوف؛ أما الذي يشجعها على خوض هذه المغامرة الخطيرة، فهو نظام هيكلها العظمي، ونظام دورتها الدموية، وجهازها التنفسي الذي زوّدها به الخالق ﷻ لمقاومة الضغط العالي للماء، بالإضافة إلى أن نسبة الخلايا الحمراء التي تنقل الأكسيجين في دم أنواعنا هذه، وكذلك نسبة المايوجلوبين الذي يخزن الأكسجين في دم العضلات، مرتفعة للغاية، وهذا يساعدها على التنفس تحت الماء دون أية صعوبة، وعلى التقاط فريستها دون أي عائق.

لقد صُمِّم درعنا العظمي بشكل يحيط جسمنا من جانب، ويقوم مقام خزان للكالسيوم من جانب آخر. إذ تستفيد الإناث -عندما تضع بيضها- من هذا الخزان الكالسيومي في عملية الأيض التي يتم خلالها تكوين قشرة البيض الصلبة. وكذلك يلعب هذا الخزان دورًا مهمًّا في التوازن الحمضي القاعدي، وتوازن كثافة الإلكتروليت في الدم لدى أفراخنا التي تكون في بيات شتوي.

ما أطيب الحديث معك يا من خلقه الله في أحسن تقويم، وجعله سيدًا لهذا الكون العظيم.. وما أجمل الكلام -كذلك- عن قدرة الصانع الذي أوجد كل شيء من اللاشيء، وخلق الكائنات جميعًا لتسبّح له وتقدّسه.. ولكن الوقت مضى، وحان وقت العودة إلى حيث أتيتُ.. فطريقي طويل.. وزادي ثقيل.. فعليّ أن أذهب حتى لا أتأخر على أهلي وعيالي.. اعتن بنفسك جيدًا، واذكر ربك دائمًا لتحبَّه فيحبك ويرضيك في الدارين.. إلى اللقاء. ■

(*) جامعة ٩ أيلول / تركيا. الترجمة عن التركية: نور الدين صواش.

hiragate.com

د. أيمن حسن حجاب*

النمط المعماري والثقافة
أية علاقة؟

تعتبر العمارة -بشكل عام- محصلة مركبة للثقافة المادية والروحية للشعوب. والعمارة الإسلامية -انطلاقًا من هذا المبدأ- مرآة تعكس بشكل دقيق العقلية التي سيرت حضارة هذه الأمة في إطار عقيدتها الدينية الراسخة، ومبادئها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ولا ريب أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، هما المعين الذي نبعت منهما الحضارة الإسلامية بشكل عام. وكان مسجد الرسول ﷺ أول عمل معماري هام في الإسلام، حيث كان النبي ﷺ وصحابته الكرام، يضعون أساس المسجد النبوي، وفي نفس الوقت يضعون أساس فن العمارة والفنون الإسلامية الأخرى.

والعمارة الإسلامية تمثل صورة صادقة لما سبق، حيث امتدت الدولة الإسلامية من الهند وآسيا الوسطى شرقًا، إلى الأندلس وبلاد المغرب غربًا، ومن جنوب إيطاليا وصقلية شمالاً حتى بلاد اليمن جنوبًا، حيث

ازدهر فيها الفن الإسلامي وطرز العمارة الإسلامية، التي يتميز بعضها عن البعض بما يلائم تأثيرات البيئة، خاصة وأن البلاد التي فتحها الإسلام واتخذته دينًا وعقيدة، كانت مهدًا لحضارات شامخة استقرت في وجدان شعوبها.

وقد خضعت العمارة الإسلامية لعدة عوامل في نشأتها وتطورها منها:

١- العامل الديني

كان للإسلام أكبر الأثر في توجيه الفن المعماري، وذلك مع إشراقة أول شعاع منه على الدنيا كلها. ويمكن القول إن أصول العمارة الإسلامية الأولى، قد وُضعت منذ أن شارك رسول الله ﷺ بيديه الشريفتين في بناء مسجده في المدينة المنورة. فقد وضع الرسول ﷺ اللبنة الأولى لصرح العمارة الإسلامية، والتي أخذت دورها سريعًا في عجلة البناء والتطور؛ حيث أضافت العمارة الإسلامية تقنيات ونظمًا لم تكن معروفة من قبل، فاختلفت الزخارف والحليات في العمارة الإسلامية عن مثيلاتها في الطرز الأخرى، حيث كانت هذه الزخارف والحليات، مشتقة من روح الإسلام وتعاليمه التي تقضي بتحريم التماثيل والأصنام.. فاهتم المسلمون بدراستها، وعنوا بالإخراج والتكوين الزخرفي، وفي النهاية تمكن الفنان المسلم من بناء مدرسة فنية ومعمارية ثابتة الأركان مميزة الأسلوب، نتجت عنها الأشكال الإسلامية الأصيلة، والتي عرفها العالم باسم " الأرابيسك".

٢- العامل الاجتماعي

لم تختلف نتائج تأثير هذا العامل على تطور العمارة الإسلامية كثيرًا عن نتائج تأثير العامل الديني، حيث يتضح تأثير هذا العامل من خلال ما خلفته الطبقات الاجتماعية في الأقطار.

ضعف الاهتمام بمنتجات الطبقة الشعبية المتوسطة منها والفقيرة، لذا نرى اختفاء مساكن الطبقات الشعبية والعمائر الخاصة بها، حيث لم يبق إلا القليل من الربوع والوكالات والخانات، في حين تجد الكثير من العمائر الخاصة بالسلاطين والحكام والطبقات الغنية من

العمارة الإسلامية شأنها شأن مظاهر الحضارة الإسلامية، نشأت على أساس قويم من الإسلام، وظلت رغم تطورها وتنوعها محتفظة بالروح الإسلامي الذي كان له الفضل في أصالتها ووحدتها، مما مكّن المسلمون من إنشاء فن وتراث معماري متميز ظل مستمرًّا عبر العصور المختلفة.

المساجد والمدارس والخنقاوات وغيرها.

٣- العامل الاقتصادي

وللحالة الاقتصادية تأثيرها على توجيه الفن والعمارة، حيث إن الرخاء أو الفقر، لهما الأثر الكبير في حجم الإنتاج الفني والمعماري وأنواعه وجودته وقيمته.. وأيضًا نجد أن نظم توزيع الثروة على طبقات الأمة، تترك أثرها على الإنتاج المعماري والفني. ولهذا نجد أن هناك عصورًا يزدهر فيها هذا الإنتاج، وعصورًا أخرى تكون فقيرة وليس لها تأثير من الناحية المعمارية والفنية.

٤- العامل السياسي

لقد أثر هذا العامل على طرز العمارة الإسلامية وتطورها، وذلك من خلال استقرار الأمور واستتباب السلام في البلاد. حيث يساعد ذلك على توجيه النشاط المعماري والفني، إلى خدمة الأغراض المدنية العامة والخاصة، وعلى العكس؛ فإن نشبت الحروب، أو وجدت أخطار تهدد أمن الناس والبلاد، فإن ذلك يتطلب الاستعداد للمواجهة، ومن ثم فإنه يتطلب توجيه النشاط المعماري إلى خدمة الأغراض الحربية، من خلال بناء الحصون وتعزيز الاستحكامات، مما يستتبعه قلة في الإنتاج الخاص بالأغراض المدنية.

٥- العامل البيئي

وهذا العامل يشتمل على عدة عناصر منها:

أ- الموقع الجغرافي: حيث كانت أقطار شرق العالم الإسلامي أقرب اتصالاً ببعضها، فكانت تنتقل التقاليد المعمارية بينها في سرعة وسهولة، جعلت لها طابعًا

hiragate.com

يميزها عن الطابع العام الذي كان يعاصرها في أقطار غرب العالم الإسلامي. كذلك فإن الطبيعة الجغرافية، من حيث توفر الماء ووجود الأنهار وكثرة الغابات ووجود الوديان وخصوبة الأرض والقرب من سواحل البحار، ينشأ عنه طرز معمارية تلائم هذه الظروف، في حين أن قلة الماء وكثرة الصحارى والمناطق الصخرية والجبلية، تتطلب نوعًا آخر من الطرز المعمارية التي تلائم هذه الظروف.

بـ- الظروف المناخية: وكان لهذه الظروف أثرها في تطوير العمارة الإسلامية، من حيث إعداد العمائر لمقاومة البرد أو الأمطار أو الثلوج أو الحرارة الشديدة أو الرطوبة أو ملاءمتها لاعتدال الطقس.. وينعكس ذلك كله -مثلاً- على الأشكال العليا للعمائر؛ ففي حالة زيادة البرودة وكثرة الأمطار وسقوط الجليد، فإن ذلك يتطلب أن تكون الأسطح العليا مائلة على هيئة جمالونات، ويسميها العرب "جمالاً". وتكون هذه الأسطح مستوية في حالة المناطق ذات الأمطار والمناخ المعتدلين، وكذلك في المناطق الدافئة والحارة.. وأيضًا يراعى انخفاض ارتفاع الغرف في المناطق الباردة، للمساعدة على الاحتفاظ بالدفء داخلها، في حين يزداد ارتفاعها في المناطق المعتدلة والحارة. أيضًا كما تؤثر الظروف المناخية في أشكال واتساعات الفتحات فتكون كبيرة الاتساع في الجهات المقابلة للشمس في المناطق الباردة، والمواجهة لهبوب نسمات الهواء الباردة في المناطق الحارة، كما تقل مساحاتها إذا كانت معرضة لهبوب الرياح الباردة أو الشمس في المناطق الحارة.

جـ- التكوينات الجيولوجية: كان لها الأثر الأكبر في إنتاج عناصر ووحدات معمارية وأساليب إنشائية، خاصة ببعض المناطق الإسلامية، تميزها عن غيرها من المناطق الأخرى. ففي المناطق ذات الأودية والأنهار والغابات، نجد أن السكان يغلب عليهم استخدام اللبن؛ أي الطوب النيء، أو الآجر؛ أي الطوب المحروق، في تشييد العمائر الخاصة بها. أما في مناطق الغابات، فإن الخشب يصبح هو مادة البناء الرئيسة، وحيث تكثر الصخور ويسهل الحصول على الأحجار، نجد أنها تكوّن المادة الأساسية للبناء. وقد تجتمع مادتان أو أكثر إذا كانت مواردها ومصادرها قريبة ومتوفرة. وتشيد العمائر أحيانًا من الرخام أو الجرانيت إذا كان من السهل قطع الكتل منها ونقلها، بينما يتم استيراد كميات قليلة فيها في المناطق التي لا تتواجد بها، وتستخدم في أجزاء زخرفية ومناطق قليلة من العمائر.

وبالرغم من هذه العوامل المختلفة التي تؤثر على الطرز المعمارية في العالم الإسلامي، فقد تفاعل المسلمون مع هذه العوامل والظروف، حيث صهر الإسلام كل هذه الاختلافات في بوتقة واحدة، مما كان له أكبر الأثر في توجيه الفن والعمارة، حيث كان الإسلام هو المحور، وروح الإبداع. فالعمارة الإسلامية شأنها شأن مظاهر الحضارة الإسلامية، نشأت على أساس قويم من الإسلام، وظلت رغم تطورها وتنوعها محتفظة بالروح الإسلامي الذي كان له الفضل في أصالتها ووحدتها، مما مكّن المسلمين -في النهاية- من إنشاء فن وتراث معماري متميز ظل مستمرًا عبر العصور المختلفة، أمكن من خلاله تسجيل تاريخ الحضارة والشعوب الإسلامية. ■

(*) كبير باحثين بدار الكتب المصرية.

المراجع

(١) دراسة التأثيرات البشرية المتلفة لبعض الآثار الإسلامية وطرق صيانتها بمدينة القاهرة القديمة، تطبيقًا على أحد المبانى الأثرية الإسلامية المختارة بمدينة القاهرة القديمة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، لأيمن حسن حجاب، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢) العمارة الإسلامية فكر وحضارة، لتوفيق عبد الجواد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م.

(٣) مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية، لحسن الباشا، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة.

(٤) ترميم وصيانة المبانى الأثرية والتاريخية، لعبد المعز شاهين، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ١٩٩٤م.

(٥) العمارة العربية فى مصر الإسلامية عصر الولاة، لفريد شافعي، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م.

hiragate.com

د. محمد جكيب*

عظماء النفوس، وكبار العقول، للاحترام لا يتطلعون، ولا به يرغبون، وعليه لا يحرصون.. أما إذا جاءك من غير طلب ولا رغبة منك، فاقبله على حذر، ولكن إياك والحرص عليه أو التعلق به، وإلا تألّمتَ، وغرقت في لجة من الذلّ والإحباط.

الموازين

الإنسان والجمال

قراءة في علاقة الإنسان بروح الإبداع في الكون والوجود

ما دلالة أن يكون الإنسان قادرًا على الابتكار والإبداع؟ وماذا يعني اتصاف تحلي الإنسان بصفة المبدع في حدود كيانه البشري بالطبع؟ وما معنى أن يكون هذا الإنسان صاحب ملكة إبداعية؟ وقبل ذلك ما الإبداع، وما مقوماته، وما شروطه في ظل أفق إيماني يوجب الاعتقاد بأن المبدع الأول هو الله ﷻ؟

الجمال خميرة الوجود

إن خالق كل شيء ومبدعه هو الله ﷻ، فلقد خلق الله هذا الكون -بجميع تفاصيله- وفق هيأة دقيقة جدًّا لا يرى في خلقه أي تفاوت كما يخبر بذلك القرآن الكريم، ودون التفريط في شيء. وإن المتأمل في هذا الإبداع العجيب مستحضرًا كل ما توصلت إليه الإنسانية من نتائج وخلاصة فهم الطبيعة واكتشاف أسرارها، سيلمس أن الإنسان ما زال يحبو في إدراك كنه هذا الوجود، لأن خارطة الوجود قد جرى ويجري ترتيبها وفق نظام دقيق يعلم حقيقته ومظهره وشكله صانع ومبدع وخلاق مفارق، لأنه هو من وضع خارطة الوجود وأتقنها.

إن معالم نظام رياضي بديع جدُّ متطور قد رتب الوجود كله في ضوئه، وتؤكد أبجدياته الأولى حقيقته وتدعمها، بل إن البداية الفعلية لإدراك نظام الوجود وما وراءه، تستلزم الإمساك -بداية- بالخيوط الأولى لهذا النظام الرياضي البديع، لأن هذا النظام هو الذي يعكس في الواقع جمال الوجود وعظمته.

في ضوء ما تقدم، إن الإبداع الذي يعكسه الوجود بجماله الخارق وإتقانه الدقيق، ليس سوى تجل لصفة المبدع ولصفة الجميل، التي تجلى بها على الوجود

فاكتسب خاصية الإبداع منه تعالى، واكتسب خاصية الجمال.. فالإبداع والجمال الذي يُرى في الوجود بمختلف مظاهره -المتحرك منها والجامد- ليس سوى مظهر بسيط جدًّا من قدرة المبدع المطلق والخالق المطلق.

وأما الإبداع في حدوده الإنسانية فمجرد محاكاة لتجلي الإبداع المطلق والجمال المطلق؛ إذ مهما ترقى كفاءة البشر الإبداعية، ومهما يصل مستوى تحريه عن الجمال في حياته في كافة ضروبها، فلن يصل مقدار عشر العشر من حقيقة الإبداع المطلق والجمال المطلق، ولن يكون سوى مخلوق مجهز بنظام هو جزء من تجلي هذا الإبداع المطلق، ومجرد وعاء لبعض ما تجلى من هذا الجمال المطلق.

الإبداع والإيجابية

فما حقيقة أن يكون الإنسان مبدعًا؟ معناه بكل وضوح -ودون لبس- استمداده المكونات الأولى والعناصر الأساسية للإبداع من المبدع المطلق، ومن الجميل المطلق. بعبارة أخرى، إن الإنسان -باعتباره مخلوقًا- هو مجرد مُحاكٍ وناقل ومفسر لإبداع المبدع المطلق، ومجرد مترجِم للجمال الذي تجلى به الجميل المطلق في الوجود وفيما وراءه.

ومعناه أن يكون قادرًا على الإنتاج الإيجابي في دائرة التوازن والإتقان، أي قادرًا على الفعل والفاعلية، وجعل الفكر والعمل بؤرة واحدة ذات أثر في الواقع يلحظه الخصم قبل الصديق، والبعيد قبل القريب، تزهر أبعاده الإيجابية في كل مكان.. فهو فعل مشدود بخيوط متينة إلى الإيجابية الموصولة بنظام الكون في دائرة النظام الرياضي الذي يحتويه.

بعبارة أخرى، إن الفعل لا يكون فعلاً إلا عندما يقترن بالإيجابية، أما دون ذلك فهو شيء آخر؛ لأن اقترانه بالفساد والسلبية قد أبعده عن دائرة الفعل حقيقة، ولأن مخرجات الفعل المطلق قد حققت وتحقق الوجود البديع والجميل بوساطة مفتاح القدرة الإلهية "كن فيكون".

قد يقال إن القبح والشر مظاهر موجودة في الوجود. نعم إن القبح مظهر يلحظ في هذا الوجود من خلال التصرفات على الأقل، لكن التنعم في حقيقة القبح يقود إلى إدراك أعمق وأدق لحقيقة الجمال الموجود في الكون، فهذا القبح يؤكد إبداع المبدع، ويؤكد جمال الجميل، إذ بأضدادها تدرك الأشياء، ولا يدرك الخير إلا من معرفة حقيقة ضده وهو الشر، ولا يعرف الجمال دون لمس حدود القبح، ويستحيل تذوق الإبداع الذي فطر عليه الوجود دون وعي قيمة انعدام ما يتجلى فيه ومن خلاله الإبداع. بعبارة أخرى، لا يمكن إدراك عظمة الوجود دون الشعور بالعدم.

الإبداع وروح الفطرة

إن الإبداع في حدود بعده الإنساني -وباعتباره فاعلية مُعبّرة عما يعتلج في عمق الذات من آمال وتطلعاتها- ينبغي أن يكون إيجابيًّا ومتطلعًا إلى أفق يروم الصلاح. فالإبداع من هذا المنطلق، سبيل يمتلكه ذوو الأرواح المشرقة، الذين يوظفونه في ترجمة نبض المجتمع ومكنوناته. وهو في منظورهم، وسيلة لرسم معالم وجود هذا المجتمع، ونحت لكينونته كما يستشعر بها في أصل الفطرة. لقد خلق الله تعالى الإنسان وحباه بجملة نِعَم لم تُمنح لمخلوق سواه، وجهزه بجهاز يُقدره على السير في مسار الإعمار -إعمار الأرض وبناء الحضارة- تحقيقًا لهدف سام هو أصل وجود الإنسان وهو العبودية.

إن الإعمار وبناء الحضارة، في مسيس الحاجة إلى روح الإبداع لأنه ضرورة، ولذلك كانت صفة المبدع من أهم صفاته تعالى، وهي في الغالب مقرونة بصفة الجميل، ولذلك كذلك كانت صفة المبدع من أهم صفات الربوبية، لأن الإبداع أعم من الخلق، ولعل هذا هو مضمون قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ۞ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(البقرة:١١٥-١١٧)، لم تذكر الآية الأخيرة بأن الله بديع الإنسان فحسب، بل ذكرت كونه تعالى بديع السماوات والأرض وما فيهما. وقد ذكرت

hiragate.com

آية أخرى في سورة أخرى بأن الله "خلق الإنسان"، وعلى هذا الأساس كان الإبداع -فيما نرى- أعم من الخلق.

وجملة القول، إن الله ﷻ هو مبدع الوجود كله، فقد أخرجت قدرته المطلقة الوجود من العدم، وأعطته هويته ضمن نظام الكون، وزينته بما يستحق من زينة وجمال، بل أوجدت ما يناقضه تأكيدًا لهذه الهوية وإلحاحًا عليها.. فالله ليس مؤلف نظام الأشياء ومرتب صورها فحسب، بل هو مبدع مادتها أيضًا. بكلام آخر، إن كل ما لم يكن موجودًا، صار بفعل قدرته موجودًا؛ فلقد أخرج بقدرته كل شيء من العدم إلى الوجود، ولأنه مبدع مطلق وجميل مطلق، فقد صارت كل الأشياء وما اكتسبته منه، علامات تدل عليه.

يقال إن الله ﷻ عندما شاء أن يُعبَد وأن يُسبَّح، خلق الوجود وخلق الإنسان، وكان خلقه للإنسان وفق هيئة معينة، وجهزه بكل ما يلزم حتى يتوجه إليه بالعبودية.. وخلق في الوقت نفسه الوجود، وأبدع الوجود إبداعًا كلوحة فنية، حتى يكون مظهرًا لتجلي صفة المبدع في الوجود، متيحًا لأرقى المخلوقات حيزًا للاستمداد من هذه الصفة. فمظاهر الإبداع المتجلية في الوجود، والموسومة بالإتقان وبالتوازن، تدل كلها على عظمته، وعلى مقدرة الصانع. ولقد كان مناط التكليف هو التأمل بأوجه متعددة وبصور مختلفة في هذا الوجود، فالسمة الأساسية لهذا الإبداع ولهذا الوجود، هو دقة الصنع ودقة الإبداع وكماله واكتماله، حتى يكون ذلك إدراكًا لعظمة هذا المبدع المطلق الإبداع.

الإنسان والإبداع

للناس مراتب ومقامات في التعرف على هذا المبدع والتفاعل مع إبداعه، فهناك من لا يستطيع إدراك النزر اليسير، ولا يقدر على تعبير هذه العظمة وهذا الكمال والاكتمال، وتنحصر مهمته في مجرد تلقّي وتذوّق ما يجود به أهل الذوق الذين يعبرون سمياء الكون. وهناك من يدرك، على قدر استعداده واجتهاده في باب العبودية والاتصال بالخالق تعالى. أما الأنبياء والرسل -بما جهزهم الله به من استعدادات خاصة وفق مراتبهم، وباصطفائه لهم- هم أكثر البشر قابلية للقيام بالمهمة

إن الفعل لا يكون فعلاً إلا عندما يقترن بالإيجابية، أما دون ذلك فهو شيء آخر؛ لأن اقترانه بالفساد والسلبية قد أبعده عن دائرة الفعل حقيقة، ولأن مخرجات الفعل المطلق قد حققت وتحقق الوجود البديع والجميل بوساطة مفتاح القدرة الإلهية "كن فيكون".

التي أوكلت إليهم بصورة بديعة، تستلهم الضوابط الكلية التي سنها الله ﷻ، فاستعدادهم المستمد مشروعيته منه تعالى، أقدرهم على ابتكار أساليب وطرق وسبل للقيام بالمهمة التي أوكلت إليهم. إن وظيفة الأنبياء والرسل المؤسسة على التبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة، تقتضي الإبداع. ألم يخاطب الله ﷻ رسوله الكريم في التنزيل بأنه لو كان فظًّا غليظ القلب، لانفض الناس من حوله؛ لأن فتح القلوب، والتأليف بين الناس، وتشبيك العلاقة بالمعنى الإيجابي، يحتاج إلى المرونة وإلى الحكمة التي تفكر في كل ما هو مثار النقاش والبحث عن الحلول والتجاوب معها، وهو أمر يقتضي الإبداع، ويقتضي القوالب الجميلة التي تزيده رونقًا احتفاء بالجمال المطلق.

القدرة على الإبداع هي التي أتاحت للإنسان إيجاد حلول -قد لا تخطر على البال- يولَج منها إذا أُغلقت كل الأبواب وحالت بين الوصول إلى الأهداف والمرامي الحوائل والموانع، الأمر الذي يجعل الأمر أكثر إلحاحًا. يقولون إن الحاجة أم الاختراع، أيْ إن الإنسان كلما احتاج أمرًا وصار ذلك أمرًا ملحًّا، فكر في اختراع ما يجيب به على حاجته، وكلما كانت هذه الحاجة ضرورية كلما كانت الرغبة في الوصول إلى غايته ملحة، وقد يتوسل إليها بشتى الوسائل والسبل.. ويستوي في ذلك الحاجة المشروعة والحاجة غير المشروعة؛ والحاجة المشروعة تبحث لنفسها عن السبل المشروعة وتبدع كذلك في هذا المجال، والحاجة غير المشروعة تبحث لنفسها عن السبل غير المشروعة وتستبيح كل الوسائل وكل السبل المشروعة

hiragate.com

وغير المشروعة، شعارها "الغاية تبرر الوسيلة".

عندما اختار الرسول محمد ﷺ معاذ بن جبل ﷺ مبعوثًا منه إلى اليمن، حرص على أن يكون اختياره له مؤسسًا على أمور كثيرة واستعدادات محددة كانت العين الثاقبة للرسول ﷺ تلحظها وتتابعها. فاختيار الرسول ﷺ صاحب أفق واسع يمكنه من أن يبتكر السبل والوسائل للوصول إلى المرامي والأهداف والغايات النبيلة، التي أُرسل محمد ﷺ من أجلها. ومن هنا فإن تصلب الرؤية وانحصار الأفق، لا يسمح للذات بأن تتحرك الحركة الموفقة، ولا يسمح لها بأن تتصرف التصرف الصحيح.

إن معاذ بن جبل ﷺ نموذج الجيل الذي تربى في مدرسة المعلم الأكبر محمد ﷺ، والنموذج البشري الذي ترك بصمته على صفحة التاريخ، وطبع الحضارة بميسم الرؤية الفكرية التي ينتمي إليها، دون أن يكون وعيه متجهًا إلى تحقيق غاية خاصة سوى عبودية خاضعة لله وحده.

الذين أبدعوا في دائرة الحضارة الإسلامية هم نتاج هذه الروح، أو لِنَقُلْ إن الحضارة التي قامت بمثل هؤلاء، كانوا في حياتهم -قبل هذه الروح التي سرت فيهم- مجرد رعاة وبدو قساة الطبع أمزجتهم متصلبة، قلوبهم قاسية تشبه قساوة الصخر والحجر والطبيعة الصحراوية التي كانت تحيط بهم من كل جانب، بل إن طباعهم كانت أشد صلابة من الصخر، ومع ذلك استطاع هؤلاء، التحول إلى طاقة متدفقة تجود بالإبداع الخارق. ألم تكن روح الإبداع أو الابتكار، هو المنهج الذي نجح الرسول ﷺ وصحابته الكرام وعامة المسلمين -بوساطته- في فتح العديد من البلدان بعد أن فتحوا قلوب سكانها من بعيد.

الإبداع والحكمة

المرونة والقدرة على التكيف، من أهم ما يمكن للإبداع زرعه بين جوانح الإنسان، والآية الكريمة المشار إليها سالفًا تلح على هذه المرونة. وقد كان الرسول ﷺ نموذجًا في هذا الباب، أو لِنقُلْ إن أهم ما ميز شخصيته النبوية، هو الحكمة؛ فقد كان حكيمًا، ونظرته ثاقبة وذا بعد نظر، بل كان صاحب رؤية إبداعية، يستطيع ابتكار سبل شتى في اللحظة والحين، ابتكارَ كل ما من شأنه تسهيل فتح القلوب. وهنا يطرح السؤال الآتي فارضًا نفسه بإلحاح: هل الحضارة والعمران الذي تأسس في ظل الإسلام وقيمه، كان وليد تمثل روح الإسلام وقيمه فحسب؟ الجواب: إن الأصل في ذلك، يرجع إلى القدرة على ابتكار نموذج للحياة والإعمار، متوافق مع هذه الروح التي بثها الإسلام في عروق من انتسبوا إليه وانتسبوا إلى المنظومة الفكرية والعقيدة والروحية التي تنطلق منه.

الإبداع والحرية

لقد صار حالة روحية يتحرك الفكر وكل خلايا الإنسان على إيقاعها. لقد فك الإسلام وقيمه عقال الإنسان، وكسر ما كان عليه من قيود فتحرر أفقه من الانشداد إلى التراب وانحصار نظره في حدود المادة الفانية، إلى الارتباط بالوجود الفسيح، فصار الفكر والتفكير والتأمل مساحة شاسعة لا حدود لها.. فوجدت الذات نفسها وقد أحست إحساسًا حقيقيًّا بوجودها، وأدرك كل فرد في دائرة الجماعة أنه أداة ضمن نظام متكامل، وأنه لكي يدرك هذا النظام، يتوجب الإحساس بهذه اللوحة البديعة التي أبدعها المبدع المطلق إلى درجة لمس ذلك، وإلى حد معانقة هيئته بكل الجوارح.. أدركت هذه الذات -كذلك- أن هذا الإحساس، هو الذي يجعل لوجودها معنى، ويعرّفها حقيقتها الوجودية، فيجعلها تستشعر معنى مختلفًا للحرية.

لم تعرف البشرية -إلى حدود اليوم- ولن تعرف نظام حياة يستطيع تحقيق حرية الإنسان، وتحقيق المفهوم الكلي للحرية، وتحقيق المفهوم الفعلي للحرية، والإبداع متصل شديد الاتصال بالحرية في بُعدها الفعلي والحقيقي كما سطر منهجها القرآن الكريم.

من أكبر الإشكالات التي تواجه الإنسانية اليوم هو إشكال الفهم المنحرف للحرية، باعتبارها عنصرًا ضروريًّا للإبداع في بُعده الإيجابي؛ لأن الإبداع الذي قُيّدت حركته وانحصر أفقه، لا قدرة له على تحقيق صور إبداعية منسجمة والروح المحركة لنظام الوجود. فالفهم المنحرف للحرية، ينتج صورًا منحرفة للإبداع،

hiragate.com

ويخلق بلبلة تحجب الرؤية وتعكّر صفاء الانسجام بين مكونات الوجود.

النمطية الفكرية والإبداع

وأما الإشكال الثاني الذي يواجه الإنسانية، فهو إشكالية النمطية الفكرية، لأنها تقتل ملكات الإنسان التي جهزه بها خالقه، والتي يعتبر تفعيلها أهم أسس تحقيق العبودية. لقد جهز الله ﷻ أرقى المخلوقات، بملكات خاصة لم يجهز بها مخلوق غيره، لكي يحيا ويتفاعل ويحقق العبودية. إن القدرة على ممارسة الإبداع والعيش في أفق التوازن والانسجام، والارتقاء إلى آفاق إبداعية عالية، يؤدي إلى تحقيق العبودية. بعبارة أخرى، إن الإبداع نوع من أنواع تحقيق العبودية لله، والعجز عن الإبداع والابتكار، هو عجز عن البقاء دون المقامات السامية في سلم العبودية.

قضية الإبداع ليست متصلة بالفن والأدب والإعمار فحسب، بل هي قضية عامة لكل المجالات المرتبطة بالإنسان. فالإبداع هو روح التجديد، وروح الفاعلية، وروح القدرة على البقاء والاستمرار، الإبداع هو حركية صناعة الحياة والاستمرار في الحياة. وفي الوقت الذي يتصاعد فيه الحديث عن نظريات ومناهج الفوضى الخلاقة من خلال الجمع بين المتناقضين، يستحيل تصور مخرجات إيجابية من هذه الدعوات، لأن الإبداع -في أصل بنائه وحقيقته- مكون إيجابي، والفوضى لا يمكن أن تكون مكونًا يصنع المقومات الإيجابية أو يبني ويشيد ما يفيد.

الفوضى الخلاقة التي يتحدث عنها ويروج لها، لا تصنع سوى المآسي والتعاسة لبني البشر، ولا هدف لها سوى فرض سلطة القوي على المغلوب الضعيف.. إنها فلسفة الطاغوت في العصر الحديث، ولا سبيل إلى تجاوزها إلا بإرساء قواعد الإبداع البناء.

التفاعل مع مظاهر الإبداع

في ضوء ما تقدم، يتبلور السؤال الآتي: كيف يجب تبلور الجمال والحس الفني عند المبدع المسلم والفنان المسلم؟ بينّا في مكان سابق أن الإبداع والجمال المنبث في هذا الوجود الموسوم بالإبداع والجمال، هما معًا

إن القبح مظهر يُلحظ في هذا الوجود من خلال التصرفات، لكن التنعم في حقيقة القبح، يقود إلى إدراك أعمق وأدق لحقيقة الجمال الموجود في الكون، فهذا القبح يؤكد إبداع المبدع، ويؤكد جمال الجميل، إذ بأضدادها تدرك الأشياء. ولا يمكن إدراك عظمة الوجود دون الشعور بالعدم.

مجرد تجلّ للجمال والإبداع المطلق الذي تجلى الله به ومن خلاله على الوجود، والذات المسلمة من هذه الزاوية، ينبغي لها التفاعل مع كل مظاهر الإبداع والجمال، على أنها سمياء دال على المبدع بدءًا من الذات، وهي عندما تعبر عن ذلك وتجسده من خلال عمل إبداعي في صور متنوعة وأشكال مختلفة كالقصيدة الشعرية واللوحة التشكيلية والقطعة الموسيقية والتحفة المعمارية، إنما تتفاعل مع ذلك كله.

الإبداع كلمة سحرية، تضفي المعنى على الأشياء والأفكار والوقائع والأحداث، فكل الأفكار والأحداث والوقائع إذا هي قطعت عن محركات الإبداع، وإذا لم توصل بهذه المحركات، صارت مجرد مكونات خالية من المعنى، وهذه الصلة هي ما يكسبها مكانها في سلسلة الخط الناظم الممتد من الأزل إلى الأبد.

الإبداع بناء متجدد

الإبداع ضد الفوضى، ويستحيل أن تكون الفوضى إبداعًا وأن تصنع إبداعًا. والوهم كل الوهم تصور الفوضى خلقًا. قد يكون للفوضى مكان ما في سياق الوجود العام، لكن دوره لن يتعدى حدود كونه مظهرًا يتيح استيعاب التوازن والنظام المنبث في كل ركن من أركان هذا الوجود، بل يمكن القول إن الفوضى هي الحال المنعكسة عن وضع اختلال التوازن الذي قد يتسبب فيه الإنسان نفسه عندما يسيء التفاعل من الوجود.

الإبداع محفّز طاقته ذاتية دائمة التجدد، يمد الهمم المتطلعة المتشوقة إلى الآفاق العالية بالطاقة الضرورية..

hiragate.com

الإبداع أخ شقيق للإتقان، حيث لا يكون الإتقان إتقانًا إلا إذا سقي بدم الإخلاص المنسكب من القلب كما ينسكب الماء الزلال.

كل الذين يدّعون الإبداع فوضى -منذ فجر التاريخ- انكسروا، وفي قوائم الفساد والإفساد تسجلوا، لأن كل إبداع لا يرجع الفضل للمبدع الأول، فوضى، ومآله الاندحار والانكسار. قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾(القصص:٧٨) فخُسفت به الأرض. الأرواح المبدعة لا تنظر بعين اليأس إلى ما حولها، بل تنظر بعين آملة حالمة، لأنها تحوّل كل شيء في هذا الوجود إلى وسيلة لإنجاز الخير والتقدم نحو الصلاح.

الإيجابية والأمل

القلب المبدع لا يستصغر شيئًا من الأفعال والتصرفات ما دامت تستحضر روح المبدع الأول وما دامت تأتي الفعل بإخلاص وصدق، إذ لا يستصغر الروح الخلاقة الأولى إلا من جهل أو تجاهل أبجديات الإبداع، ولذلك كانت الإيجابية هي المفتاح الذي يولَج منه إلى هذا العالم الفسيح والرحب، ولأن روح المبدع الحق دائمة التفكر في كل ما يحيط بها -ببعد إيجابي آمل غير يائس- فهي روح تدرك أن العبثية واللاأدرية وإشباع اللذة الجسدية والمادية، واعتبار الواقعية المتتبعة لتفاصيل السقوط الإنساني هي حقيقة الإنسان المطلقة، ليست من الإبداع في شيء، وأنها مجرد تعبير عن أحوال مرضية ينبغي مداواتها بمختلف أنماط الإبداع السليم.

روح المبدع كالماء؛ إذا لامس أديم الأرض اهتزت وربت مشرقة مستبشرة، وإذا شرب منه المتعطشون دبّت فيهم الحياة. إن المبدع بالمواصفات المتطلع إليها، طبيب حاذق في مجاله، عارف بحقائق النفس البشرية، وعارف بالمذاهب والأهواء التي تنحرف بالإنسان، وعارف بما يداويها حين يشتد المرض، وعارف -قبل ذلك- بشروط الوقاية من الأمراض والأهواء. ■

(*) جامعة أبو شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الجديدة / المغرب.

نكبة الإنسانية

يا دنيويّون!
متى السَّمعَ تُصيخون،
والنظَر تُحِدُّون؟!
هلاّ مع المتألّمين تألمتم،
والْـمُعوِزينَ أعطيتم،
وفي الظلمات شمعةَ أملٍ أشعلتم؟!
أزيلوا عن ضمائركم غشاوات الاستعلاء..
وامسحوا عن جباهكم عرق الخجَل،
فما هكذا يُساسُ النَّاس،
وما هكذا تُدارُ الشعوب.

* * *

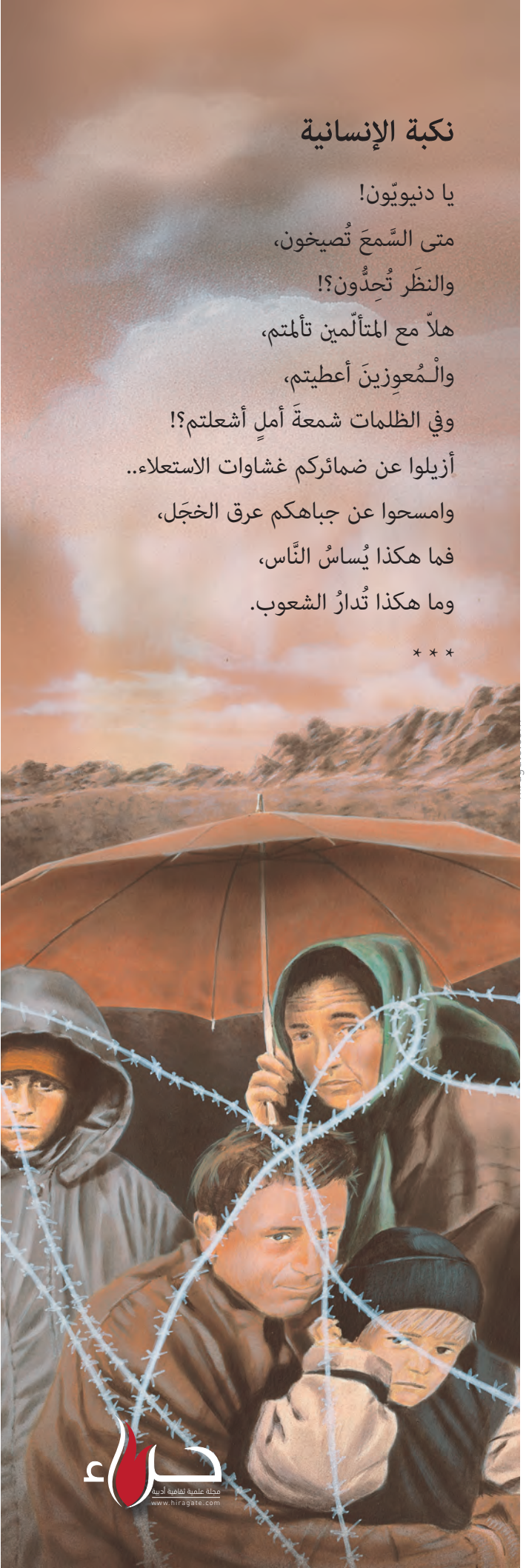

د. عائض القرني*

الطريق السالك إلى فتح القلوب

ينبغي علينا أن نفعّل في حياتنا نصوص الوحي التي تدعونا إلى العفو والتسامح، والمصالحة الاجتماعية، والتواصل الإنساني، والرحمة ببني البشر، كما قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(آل عمران: ١٣٤). ويبدأ هذا التسامح بالتسامح مع النفس، فلا نرهقها بحمل الأحقاد والضغائن، ولا نعذبها بالكراهية والعدوانية، بل نغرس فيها شجرة الرحمة والمحبة والإيمان والسلام، ونتسامح مع والدينا وقرابتنا وأهلنا وذوينا، فنصل ما أمر الله بوصله، ونرعاهم بالبر، ونحوطهم بالرفق والرعاية، ونعفو عن زلاتهم، ونتحمل أذيتهم.. ونتسامح مع أبناء مجتمعنا، حتى إذا أخطأوا

يبدأ التسامح بالتسامح مع النفس، فلا نرهقها بحمل الأحقاد والضغائن، ولا نعذبها بالكراهية والعدوانية، بل نغرس فيها شجرة الرحمة والمحبة والإيمان والسلام.. ثم نتسامح مع أهلنا وذوينا، ونتسامح مع أبناء مجتمعنا.. وعلينا أن نرسل للعالم رسالة التسامح، وتقديم رسالتنا في حلة السلام.

حراء

أو أذنبوا أرشدناهم برفق، ونصحناهم بلين معتقدين أننا مثلهم، يقع منا ما يقع منهم.. وعلينا أن نرسل للعالم رسالة التسامح، وتقديم رسالتنا في حلة السلام، والحرص على نجاتهم وفلاحهم ليأمنوا جانبنا.. فنحن وإياهم نعيش على كوكب واحد، وبيننا مصالح مشتركة، ومنافع متداخلة، ويربطنا بهم حق الإنسان على الإنسان، وواجب البشر تجاه البشر، فيحسن بنا أن نريهم الوجه الجميل للإسلام البريء من العنف والفظاظة والغلظة والاحتقار والكبت والقهر؛ لأن الله أمرنا بالحكمة في الدعوة، واللين في الخطاب، والرفق في المعاملة مع حسن الحوار، بل نهانا عن الإرهاب الفكري، والسيطرة على العقول بالقوة، فقال تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾(الغاشية:٢٢)، وقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(يونس:٩٩). فالإقناع والحوار والحجة، هي طريقنا الصحيح لتقديم رسالتنا وعرض مبادئنا.

إن العالم لن ينصت لنا إذا فهم منّا أننا نريد الاستيلاء على مقدراته، وسلب حقوقه، والانتقام منه، وتهديد حياته وتخويفه، بل علينا قبل أن نقدم له الحقيقة الناصعة والحجة البينة عن ديننا، أن نجعله يشعر بحرصنا على حياته ونجاحه وسعادته.. فإن الرسول ﷺ أتى لإسعاد البشرية لا لشقاوتهم، ولنجاة الناس لا لهلاكهم، ولسلامتهم وحرمة نفوسهم المعصومة لا لإزهاق أرواحهم إلا بحقها الشرعي.. بل صرح ﷺ يوم الحج الأكبر بكلمته الناصعة الساطعة الموحية المؤثرة، حيث قال: "ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا". كيف يقتنع العالم بدعوتنا ويدخلون ديننا وهم يرون بعضنا يحملون عليهم في أوطاننا سلاح التهديد والوعيد، وهم عزّل من السلاح لم يأتوا لمقاتلتنا ولا لحربنا، وإنما أتوا لمصالح إنسانية ومنافع مشتركة وتعاون دنيوي.

لقد جرب الحكماء منّا دعوتهم باللين والرفق إلى الإسلام فدخلوا في دين الله أفواجًا، بخلاف من لم يسلك طريق الدعوة ولا الحكمة ولا الحجة الصحيحة، وإنما استخدم أسلوب الخطف والسلب والنهب والإرغام والإكراه، فلم يحصل له ثواب ولا نصر، حيث لم يظفر بإسلامهم واعتناقهم الدين، ولم يحقق ما يظنه نصرًا جديدًا وفتحًا مبينًا، بل قدم للعالم رسالة خاطئة مفادها أننا نتربص بالبشر وننتظر غفلتهم، ونتحين الفرصة على الانقضاض عليهم، ونرفض التعايش معهم، بل نهدد حياتهم ومستقبلهم.. حينها يعدّون العدة للاقتصاص والانتقام، وهم في عالم الدنيا أكثر عددًا وأقوى عدة وعتادًا وأمضى سلاحًا، ونحن لضعف تمسكنا بديننا نعيش الضعف مع قلة الاستعداد، وتفرق الكلمة، وشتات الشمل، والبدائية في الحضارة المادية..

لماذا ندعو العالم إلى المنازلة والمصاولة؟ إن من يقوم ببناء المساجد والمراكز الإسلامية ونشر الكتب والقنوات الفضائية، وإقناع العالم بالحكمة والبرهان والموعظة الحسنة، لهو أفيد للإسلام والمسلمين مليون مرة ممن شهر السلاح على المعاهدين والمستأمنين، وأخذ يطلق خطاب الوعيد والتهديد واللعن والشتم.. فهو زعلان وطفشان وزهقان وغضبان من العالم ومن نفسه ومن الغير ومن الأخ ومن الآخر ومن الماء ومن الهواء؛ لنقص حظه من العلم والمعرفة، ولضيق نفسه عن أن يعيش الأمن والسلام والمحبة للناس، والتواصل مع بني البشر ورحمة الإنسان بالإنسان.. فهل آن لنا أن نمد يد الصلح والتسامح، وأن نقدم بطاقة التعارف والتواصل لينصت العالم لدعوتنا؟ ■

(*) عالم ومفكر / المملكة العربية السعودية.

hiragate.com

د. حسن الأمراني*

مناجاة طائر الحرمين

أبـدا تحـنّ إليكـمُ الأرواح ... وبذكـركـمْ قلْـبُ الفتى يرتـاحُ
شُغِـل الفُـؤادُ بحبّكـمْ وبذكركـمْ ... إن كانَ يَـشْغَلُ مَـنْ سـواه الـرّاحُ
وعلمـتُ يـومَ تعلّقَـتْ روحي بكُمْ ... أن التَّعَـلُّقَ بـالحبـيب فـلاحُ
لمَّا لحَا اللاحي بسطتُ يَدَ الهوى ... سِـفْرًا يحـار بأمْـره الشُّـرَّاحُ
سُـدَّتْ منافذُنـا، وأنْـتَ دليلُهـا ... يـا طائـرَ الحرمَـيْن والمفْـتاحُ
حُـبُّ الرَّسُـول لنـا جنَـاحٌ خافِـقٌ ... إنْ عَـزَّ فـي عِـزِّ الهجـير جَنـاحُ
وتُـرابُ طِـيبَةَ طِيـبُ كلّ متيّـم ... وعَبيـرُها بُسْـتـانُنَـا الفـوَّاحُ
أنَـا يـا رسـولَ اللـهِ جئْـتُ مُوَلَّهـاً ... قَـدْ أثْخَنَتْني فـي الطَّريـقِ جراحُ
هـذا قتـادَةُ شـاهدًا، مَـنْ غيْـرُكُمْ ... يأسُـو الجِـرَاحَ، وللجِرَاحِ نُواحُ؟
وإذا أجَـرْتَ مُطـارَدًا أو خـائفًا ... مـاذا علَيْـه بـأن تَـهُبَّ ريـاحُ؟
وإذا غـدوْتَ للاجِـئٍ حصْنًـا فما ... تُجْـدي البُغَـاةَ أسِـنَّةٌ ورمـاحُ؟
بسـتانُ حُبّـكَ يـا حبيبي عَامـرٌ ... تَـزْهو بـه الأعْـنَابُ والتُّـفَّاحُ
وشَـرابُ حُـبّكَ إنْ تحَـدّرَ صَيّـبًا ... حَنَّـتْ إلـى قطَراتِـهِ الأقْـداحُ
وإذا ادلهـمّ اللَّـيْلُ، مـا مصباحُـنَا ... إلا سـنَاكَ يـغَـارُ منْـهُ صَـباحُ
قَـالوا لقد أفْرَطتَ في أمْرِ الهوَى ... ومتـى يُصِيـبُ المفْرطينَ صلاحُ؟
لا، بـلْ أنا فرّطْـتُ لَوْ علم الألى ... حتّى اسْتَفَقْـتُ وللمشـيبِ صِياحُ
هيهـاتَ أن يصِـفَ البيَـانُ جمالَـهُ ... أو أن يُـحيـطَ بشـأنه مَـنْ بـاحوا
إنّـي أرى الإفْـراطَ إثْـمًا خالصًـا ... إلا بحبّـكَ، فَـهْـو لي إصـلاحُ
آتـاكَ عيـنَ العلْـمِ ربُّـك سابغًـا ... إذْ للكليـمِ مِـنَ الهُـدى الألـواحُ
ولصَحْبكَ الكُرَماءِ مِنْ سَبْقِ الهُدى ... بحْـرٌ يَضيـعُ بموجِـهِ المَـلاّحُ
فسَماحَةُ الصّدّيقِ إن عرضَتْ لنـا ... سُـودُ المسـالكِ نُـورها وضّـاحُ
وعزيمـةُ الفَـاروقِ مِـنْ ومضَـاتِـهَا ... ومضائِـهَـا هَـمُّ الضِّعـاف يُـزاحُ
وحيَاءُ ذي النُّـورين روضٌ ممـرعٌ ... وعليه مِـنْ سمْتِ الحبيبِ وشـاحُ
وخشـوعُ حيْـدرةٍ، وقُـوّةُ بأسـهِ، ... في يَـوْمِ خيْـبـرَ كوكبٌ لمـّاحُ
فَهُـمُ النُّجـومُ ومن بديع ضيـائهمْ ... يتـزوّد الفقَـراءُ والسُّيَّـاحُ
أعليّ إنْ شَـرَّحْتُ عِـشْقِيَ بعْدَ ذا ... وأنَـرتُ درْبَ السَّـالكين جُـناحُ؟

(*) مدير تحرير مجلة "المشكاة" / المغرب.

حراء

مجلة علمية ثقافية أدبية

www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار النيل
للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس التحرير
هانئ رسلان

مدير التحرير
إسماعيل قايار

المخرج الفني
قسم التصميم بدار النيل

منسق الاشتراكات
علاء الكوابري
+201000780841
+201023201002

نوع النشر
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلاً ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

SUDAN
مركز دار النيل، مكتب الخرطوم
أركويت مربع 48 منزل رقم 31 – الخرطوم – السودان
Phone: 0024 999 559 92 26 - 0024 915 522 24 69
hirasudan@hotmail.com

JORDAN
دار المأمون للنشر والتوزيع، العبدلي، عمارة جوهرة القدس
رقم: 182، مدخل البنك العربي، عمان/الأردن.
Phone: +962 0790316072 / +962 0787581782
hiramagazinejordan@gmail.com

UNITED ARAB EMIRATES
دار الفقيه للنشر والتوزيع
ص.ب. 6677 أبو ظبي
Phone: +971 266 789920

KUWAIT
القبلة، القطعة 51، المبنى 31
مجمع: الهيئة العامة لشؤون القصر، الدور 4.
هاتف: 0096598897271

NIGERIA
.Nusret Educational And Cultural Co. Ltd
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
nusretnigeria@gmail.com

USA
Tughra Books
Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA 345
Phone:+1 732 868 0210
Fax:+1 732 868 0211

EUROPE
World Media Group AG
Sprendlinger Landstrabe 107-109
63069 Offenbach a. Main / Germany
Phone: 069 / 300 34 130
Fax: 069 / 300 34 105
dergiler@wmgag.eu

EGYPT
٣٧ شارع د. عبد الشافي محمد – الحي السابع، مدينة نصر – القاهرة.
هاتف: +201091242075 - +201119482609
hiraegypt@gmail.com

SAUDI ARABIA
الوطنية للتوزيع: المكتب الرئيسي: ١٨٢ حي الازدهار، طريق عثمان بن عفان،
الطابق الثاني، المكتب رقم ٦، ص.ب: 68761 الرياض: 12537
Phone: +966 11 4871414
الجوال: +966507570864
Fax: +966 11 4943213

MOROCCO
الدار البيضاء ٧٠ زنقة سجلماسة
Société Arabo-Africaine de Distribution,
d'Edition et de Presse (Sapress)
70, rue de Sijilmassa, 20300 Casablanca / Morocco
Phone: +212 22 24 92 00

LİBYA
دار الرواد، ذات العماد، برج ٤–طرابلس–ليبيا.
هاتف: 00218213350332 - daralrowdooks@gmail.com
هاتف: 00218916125579 - hiralibya@gmail.com

MAURITANIA
Phone: +2223014264

YEMEN
مكتب حراء للنشر والتوزيع
شارع بغداد، مقابل بريد بغداد، صنعاء – اليمن
Phone: +967 1 214774
Fax: +967 1 204494
GSM: +967 736027560

ALGERIA
Bois des Cars 1 Villa N°68 Dely Brahim
GSM: +213 770 26 00 22

إبحار في سورة الفاتحة بعقل المحقق وقلب العاشق..

قراءة لفاتحة الكتاب من منظور فقه التنزيل..

رؤية معاصرة تجديدية لأم الكتاب..

دار النيل : ٢٢ ج– جنوب الأكاديمية– التسعين الشمالي – التجمع الخامس– القاهرة الجديدة – مصر

تليفون وفاكس : 5–20226134402+ الهاتف الجوال : 201000780841+

daralnile@daralnile.com

www.daralnile.com

أمريكا: ٥ دولارات • أوروبا: ٥,٣٠ يورو • المملكة العربية السعودية: ١٢ ريالا سعوديا • اليمن: ٣٧٥ ريالا يمنيا • المغرب: ٢٠ درهما • الجزائر: ٢٥٠ دينارا

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

هو

كل الضمائر لـ"هو" تشتاق..
أنا وأنت ونحن وهم من غير "هو"
عدمًا نكون.. "هو" الذي أنشأنا
وخلقًا من العدم أقامنا..
في طريقه نمضي ولا نحيد،
ومن خلفنا عُمْيُ البصيرة
في الغيّ سابرون، وفي النوم غارقون.

* * *

ISSN 2357-0229
02
9 772357 022004
www.hiragate.com